جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الانسانية

الطريقة الشابية ودورها الديني وأثرها الاجتماعي في وادي سوف 941-1298هـ/1535-1882م

مذكرة مكلمة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

شعيب نوار

الأستاذ المشرف:

أ.د علي غنابزية

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
أ.د عاشوري قمعون	رئيس اللجنة	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
أ.د علي غنابزية	مشرفا و مقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
د موسى بن موسى	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

الموسم الجامعي: 1438-1439هـ/2017-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

سورة النحل (125)

الإهداء

أتقدم بهذا العمل المتواضع إلى روح والدي رحمه الله،

وإلى والدتي حفظها الله

وإلى الأخ والصديق والزميل المسعود الشابي رحمه الله

وإلى إخوتي وأخواتي

وإلى زوجتي وابنتي سارة وبلقيس

وإلى كل عائلة آل نوار حفظهم الله جميعا

وإلى جميع الأسرة الجامعية من أساتذة وعمال وطلبة

وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير للبلاد والعباد

شعيب

شكر وعرفان

الحمد لله على نعمه وفضله الذي فضلنا على سائر المخلوقات وميزنا بنعمة العقل، للتفكر والتدبر في ملكوت الله سبحانه وتعالى، ليكون طريق العلم هو السبيل إلى ذلك.

الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور علي غنابزية على ما أفادني به خلال المسار الجامعي وفي إخراج هذا العمل المتواضع.

كما أشكر كل من قدم لي مساعدة من قريب أو من بعيد من الأساتذة الكرام: محمد لخضر بوبكر (عنابة)، عبد العزيز حسونة، محمد بن عمار ماني، عبد الباقي مفتاح، والمعلم المربي بوبكر شنه(قمار)، وعبد الكريم عياشي (تغزوت)، وموسى بن موسى، جمال زواري، محمد حناي (الوادي)، وعبد الله الشابي (تونس)، والشيخ بشير أحمدي (كوينين)، والطالب عبد الفتاح ونيس (قمار)، والأخوة بدر الدين الشابي، شعيب خدة ...

كما أشكر أخي الأكبر زكريا على متابعته لإنجاز هذه المذكرة وبما أفادني به من مراجع.

كما أشكر أخي الأصغر عبد الرحمان على سهره معي في طباعة هذه المذكرة وإخراجها في أحلى زينة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لجميع المؤسسات والإدارات العلمية والثقافية (الجامعة، مكتبة دار الثقافة بقمار، مكتبة الزاوية التجانية بقمار، مركز الأرشيف الوطني التونسي، المكتبة الوطنية التونسية، المكتبة الوطنية الجزائرية...) على ما قدموه لي من مراجع من أجل إنجاز هذه المذكرة.

كما أشكر في الأخير جميع أساتذة الجامعة الذين درسوني طيلة 05 سنوات وأن يجعل عملهم وعلمهم خالصا لوجه الله وأن يرفع لهم به الدرجات في جنات النعيم مع الأنبياء والمرسلين.

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
تق	تقديم
ج	جزء
د ت	دون تاريخ
د ط	دون رقم طبعة
ص	صفحة
ص ص	من صفحة إلى صفحة أو عدة صفحات
ط	رقم الطبعة
ط خ	طبعة خاصة
ع	عدد
غ م	غير منشور
م	ميلادي
مج	مجلد
مخ	مخطوط
هـ	هجري
R	مراجعة

مقدمة

شهدت بلاد المغرب العديد من الطرق الصوفية، لا سيما الجزائر والمغرب وتونس التي ظهرت بها الطريقة الشابية الطريقة خلال النصف الثاني من القرن 15م، في خضم الصراع الإسلامي المسيحي على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بين العثمانيين والإسبان. ومع بداية القرن 16م، اشتد التنافس بين الطرفين مع تراجع الدولة الحفصية في سنواتها الأخيرة. وفي ظل هذه الظروف التي تمر بها تونس، وجدت الطريقة الشابية نفسها داخل هذا الصراع، وكان خيارها الاستراتيجي هو كسب ود القبائل لصالحها فساعدها ذلك على التمكين والانتشار في مختلف القطر التونسي والامتداد نحو الشرق الجزائري، حيث وصل صداها إلى وادي سوف لعدة قرون تاركةً تأثيرات دينية واجتماعية مادية ومعنوية في عمق المجتمع بوادي سوف.

لذا كان **هدف** هذا **البحث** إبراز الدور الديني والأثر الاجتماعي للطريقة الشابية على المجتمع السوفي الذي كان عنوانه "الطريقة الشابية ودورها الديني وأثرها الاجتماعي في وادي سوف 941-1298هـ/1535-1882م"

-دواعي اختيار الموضوع:

كان اختيار الموضوع في التاريخ المحلي لوادي سوف حسب العنوان المذكور لعدة أسباب ذاتية وموضوعية أهمها:

1-الوفاء بالعهد للصديق المرحوم المسعود الشابي رحمه الله، الذي كان يريد طرح هذا الموضوع للبحث إلا أن المنية سبقته، فكان إعادة تجديد العهد من طرف الأستاذ المشرف باقتراحه عليَّ لإنجاز هذا البحث مع مساندتي ودعمي، وهو كذلك من اهتماماته الأولية.

2-أما من الناحية الموضوعية، فقد أردت إبراز جزء ولو يسير من تاريخنا المحلي الذي لم يأخذ نصيبه الكافي من طرف المختصين، خاصة في الجانبين الاجتماعي والديني بصفة عامة وعلاقتهما بالطريقة الشابية بصفة خاصة.

3-إعداد هذه الدراسة لأنها تساعد على فتح المجال أمام المهتمين بالتاريخ المحلي لمتابعتها وإثرائها.

4-إبراز الدور الصوفي الروحي في الحياة الاجتماعية لوادي سوف من خلال ما تُقدمه من خدمات لصالح أفراد المجتمع.

5-إظهار الحالة الاجتماعية السائدة خلال الفترة الحديثة، وكيف كان تجاوب المجتمع مع الدعوة الشابية.

6-معرفة التراث المادي والمعنوي الذي خلفته الطريقة الشابية.

7-إظهار مدى التواصل الشابي السوفي خلال فترة مجال الدراسة.

-الإشكالية:

ارتبطت الطريقة الشابية بوادي سوف منذ القرن16م، من خلال التواصل القبلي السوفي بشيوخ الشابية وعلى رأسهم عرفة الشابي، مما أوجد علاقات متبادلة بين الطرفين طيلة ثلاثة قرون ونصف، كان لها تأثيرات دينية واجتماعية على إقليم وادي سوف، والاشكالية المطروحة هي:

فِيمَ تمثلت التأثيرات الدينية والاجتماعية للطريقة الشابية بوادي سوف خلال (941-1298هـ/1535-1882م)؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية لابد من طرح التساؤلات التالية:

-ما هي الطريقة الشابية؟

-كيف نشأت وتطورت؟

-كيف مازجت الطريقة الشابية بين الدين والسياسة؟

-لماذا بقي التيار الديني الروحي واندثر التيار السياسي الحربي؟

-كيف بدأت وتطورت العلاقات الشابية السوفية؟

-ما مدى تجاوب مجتمع وادي سوف مع الدعوة الشابية، وما هو الأثر الذي خلفته فيه؟

-ماذا قدمت الطريقة الشابية للمجتمع السوفي؟

-ما هو التراث المادي والمعنوي الذي تركته الطريقة الشابية؟

-كيف اندمج آل الشابي في المجتمع السوفي؟

-الإطار التاريخي للدراسة:

إن الإطار الزمني للدراسة ارتبط بأول اتصال بين قبيلة طرود بسوف بالشيخ عرفة الشابي سنة (941هـ/1535م) من أجل معاونته لمحاربة السلطان الحسن الحفصي وتأسيس إمارته، أما سنة (1298هـ/1882م) فهي تمثل بالنسبة لمنطقة سوف بداية تثبيت واستقرار سلطات الاحتلال الفرنسي بالإقليم الذي ظل خارجا عن سيطرتها منذ سنة (1270هـ/1854م)، مع ظهور ملامح الاستقرار لعائلة الشابي بوادي سوف.

-منهج الدراسة:

للإجابة عن التساؤلات المطروحة فقد اعتمدت على **المنهج التاريخي** بالتطرق إلى عوامل ظهور الطريقة الشابية وانتقالها إلى إقليم سوف، مرورا بالعديد من الأحداث من تأسيس الإمارة الشابية ومساندة قبيلة طرود لها، وكيف تطورت العلاقات بين الطرفين مع التطرق لأبرز سير شيوخ الشابية الذين كانت لهم علاقة بسوف، وتمكنهم من نشر الطريقة وإعادة بعث الدين الإسلامي من جديد بعد أن خَفُتَ وتراجع، مع ذكر المساهمات الاجتماعية وآثار معالمها الدينية، وموطن استقرارها العائلي، إضافة إلى تحليل بعض العناصر مثل: حالة المجتمع بوادي سوف خلال القرن 17م الذين كان بين انحطاط أخلاقي وفساد عقائدي

وبين قابليته للتدين، كما اعتمدت على بعض الروايات الشفوية نظرا لمحلية الموضوع، وعدم التطرق لها في الكتابات التاريخية المحلية.

-خطة البحث:

لقد قسمت البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة حسبما توفر لدي من معطيات وكانت على الشكل التالي:

مقدمة، ومدخل كان حول الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة وادي سوف، حتى يتمكن القارئ من معرفة الجذور التاريخية التي صنعت تاريخنا، وكان مجالا للنشاط لمختلف الفئات والقبائل، والطرق الصوفية، وأولها الطريقة الشابية.

أما الفصل الأول فكان حول الطريقة الشابية ونشأتها وتطورها وامتدادها إلى وادي سوف، وجمعها بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية، والتطرق لأبرز شيوخها الذين كانت لهم علاقات مع وادي سوف، وانتقالها من القيروان إلى وادي سوف.

أما الفصل الثاني فقد تضمن المآثر الدينية والاجتماعية للطريقة الشّابّية بوادي سوف، حيث كانت تعمل على الدعوة لطريقتها وفي المقابل نشر الدين وتجديده، والتطرق إلى الحياة الاجتماعية لأتباع الطريقة بوادي سوف مع التفاعلات بين الطرفين، والآثار المادية والمعنوية التي تركتها الطريقة الشابية في منطقة سوف من مساجد وزوايا، مع استقرار بعض العائلات الشابية بوادي سوف والظروف والعوامل التي أدت إلى ذلك.

وأنهيت البحث بخاتمة، ومجموعة ملاحق تدلل على مآثر مادية بقيت شاهدة على آثار الشيوخ والأتباع.

-المصادر والمراجع:

أما المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الدراسة من ناحية العموميات خاصة في الفصل الأول اعتمدت على كتابات علي الشابي من خلال كتابه الجامع والشامل للفترة الحديثة الذي يحمل عنوان "تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي و العثماني" الذي يعتبر من الباحثين المهتمين بكتابة تاريخ الشابية الذي قد يكون بحكم الانتماء العائلي من جهة، أو بحكم أنه باحث اكاديمي، حيث تضمن هذا الكتاب ثلاثة أقسام، قسمه الأول متعلق بكتابيه "العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي" و"عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي"، أما القسمان الآخران فهما تكملة للفترة السابقة بداية من سنة وفاة الشيخ عرفة الشابي (948هـ/1542م) إلى نهاية منشأة بيت الشريعة سنة (1283هـ/1867م)، معتمدا على مخطوطات شيوخ الشابية مثل "الفتح المنير" للشيخ محمد المسعود الشابي، و"الأنوار السنية في تاريخ السادة الشابية للمؤرخ صالح بن سعيد الشابي، إضافة إلى كتاب "تاريخ العدواني" لمحمد بن عمر العدواني" و"الصروف" لإبراهيم العوامر...

كما اعتمدت على مرجع "القيروان والشابية (1450-1592)" لشارل مونشيكور الذي تناول القرن الأول من ظهور الطريقة الشابية وما عرفه هذا القرن من أحداث خلال الصراع العثماني الإسباني.

أما في الجانب المحلي فقد اعتمدت على "تاريخ العدواني" لمحمد بن عمر العدواني الذي أرخ للطريقة الشابية في وادي سوف خلال القرن 17م، رغم ما يشوبه من كتابات أقرب للخرافة والأسطورة أكثر من الواقع، إلا أنه يبقى من أهم المصادر المعتمدة في تناول مثل هذه الدراسات، كما يعتبر كتاب "الصروف" لإبراهيم العوامر من أهم المراجع المحلية التي ركزت على القضايا الاجتماعية بوادي سوف منذ العهد القديم إلى الفترة المعاصرة.

كما كان للرواية الشفوية نصيبها الأوفى في هذه الدراسة بحكم الطابع المحلي للبحث لقلة الكتابات خاصة في الفصل الثاني.

إضافة إلى كل ذلك، فإن كل بحث لا يخلو من العديد من المراجع المكملة للبحث، مثل: كتب التصوف، لأن الدراسة متعلقة بطريقة صوفية، مع بعض المقالات، والملتقيات، والرسائل الجامعية، ومرجعين أجنبيين متعلقين بالتاريخ المحلي.

-صعوبات الدراسة:

-بصفة عامة فإن البحث في التاريخ المحلي يحتاج مجهودات بحثية كبيرة للحصول على الحقائق نظرا لقلة الكتابات فيها، مما حتم عليَّ الاعتماد على ثلاثة مراجع طيلة مسار الدراسة ككتابات علي الشابي أو تاريخ العدواني وبدرجة أقل كتاب الصروف.

-عدم توفر مخطوطات محققة مثل: "الفتح المنير" لمحمد المسعود الشابي الذي يتطرق لشيوخ الشابية الأوائل، و"الأنوار السنية" لصالح بن سعيد الشابي ...

-يوجد اختلافات في بعض الروايات الشفوية، فنتج عنه حقائق نسبية تتطلب التحري أكثر.

-العديد من الكتابات التاريخية المحلية ليست اكاديمية أو ليست من أهل الاختصاص.

-التنقلات الخارجية إلى تونس (الأرشيف الوطني والمكتبة الوطنية) لكن دون جدوى، لنقص الخبرة البحثية، وما اطلعت عليه ليس مرتبطا بمحل دراستي، وهذا لا يعني أنه لا يوجد ما يخدم بحثي، لأن الوثائق الأرشيفية كثيرة وباللغة الأجنبية فهي تحتاج إلى وقت أطول قصد ترجمتها، كما زرت مدينة توزر خلال الملتقى السادس لجمعية الشابي للتنمية الثقافية والاجتماعية، وقدمت محاضرة تحت عنوان "الحركة الشابية: حضور قوي في الذاكرة الجماعية بإفريقية وغياب تام في كتابات المؤرخين التونسيين" من طرف الأستاذ عثمان برهومي، حيث تناول الأقوال والعادات الشعبية التي تركتها الشابية وبقيت متداولة ومحفوظة

بين أفراد المجتمع التونسي، أيضا هذه المحاضرة لا تخدم بحثي بصورة مباشرة إلا في حالة توسيعه أو تخصيصه في الأقوال والعادات الشعبية للطريقة الشابية في وادي سوف.

كما زرت المكتبة الوطنية الجزائرية وأرشيفها، ولم أجد بها ما يفيد مذكرتي سوى بعض المراجع التي اعتمدتها في دراستي، ولكن للأسف لم أقم بتدوين عناوينها.

-اتساع المجال الزمني للدراسة (941-1298هـ/1535-1882م)، مما يتطلب وقتا أطول مع العلم في مراحل من هذه الفترة لا يوجد ما يمكن تدوينه، خاصة في نهاية القن 17م والقرن 18م.

وفي الأخير أشكر الأستاذ المشرف الدكتور علي غنابزية على تشجيعيه لتناول هذا الموضوع، وصبره معي رغم انشغالاته العلمية التي لا تنتهي، وأشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل المتواضع، الذي بدأ بفكرة من الأخ المرحوم المسعود الشابي رحمه الله سنة 2015، ليصبح الآن عملا مجسدا على الواقع ليكون بادرة خير أمام أعمال أخرى مكملة لهذا المشروع في مستوى أعلى، فإن أصبت فيه، فالحمد لله وحده، وأن وقع فيه بعض الزلل، فالله أسأل المغفرة، وله الفضل والتوفيق والسداد والهداية إلى سبيل الرشاد.

شعيب نوار

الوادي- قمار: 04 رمضان 1439هـ

20 ماي 2018م

مدخل

الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة وادي سوف

1- وادي سوف جغرافيا

2- وادي سوف تاريخيا

1-وادي سوف جغرافيا:

أ-الموقع الجغرافي والفلكي:

تقع وادي سوف على الحدود التونسية تحدها من الجهة الشرقية، في شريط ممتد مجاور لوادي ريغ يحده من الجهة الغربية، وهي عبارة عن أرض رملية تقع في العرق الشرقي على بعد 650 كم عن العاصمة الجزائرية[1] ويحدها شمالا بسكرة والحوش وسيدي محمد بن موسى والفيض والزرايب والميته وبودخان وجنوبا واحات طرابلس وغدامس وما والاها[2].

وادي سوف محصورة بين خطي عرض 31° و34° شمالا وبين خطي طول 6°و8° شرقا حيث تبلغ المسافة من اسطيل شمالا إلى غدامس جنوبا 620 كم ومن وادي ريغ إلى الحدود التونسية شرقا 160 كم بمساحة 28800 كلم^2، وتقع بين ثلاثة شطوط طبيعية شط وادي ريغ بالغرب وشط مروانة وملغيغ من الشمال وشط الجريد شرقا[3]، حيث تعتبر منطقة نائية تقع وراء الأطلس الصحراوي[4].

1-ريان جابر: **الزراعة في إقليم وادي سوف (الآليات، الواقع، الآفاق)**، رسالة ماجستير في التهيئة العمرانية، إشراف: عبد المجيد بازين، قسم التهيئة العمرانية، كلية علوم الأرض والتهيئة العمرانية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة،2015، ص 12.

2-إبراهيم محمد الساسي العوامر: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص 41.

3-علي غنابزية: **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300-1374/1882-1954**، رسالة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمر بن خروف، قسم التاريخ، كليه العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر،2008-2009، ص 13.

4-عثمان زقب: **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: يوسف مناصرية، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005-2006، ص 15.

ب-وادي سوف جيولوجيا:

إن جيولوجية وادي سوف تظهر في تنوع الطبقات الجيولوجية وتنوع سماكتها من طبقات تمتد إلى 140 متر، منها ما هو نفوذي ومنها ما هو غير نفوذي للمياه، كما أنها تحتوي على مكونات الجبس الصالح للبناء مع حجر اللوس، هذه الطبقات الجيولوجية عملت على تخزين المياه في الطبقات النفوذة ومنعها من التسرب في الطبقات غير النفوذة، فكانت عبارة عن مخزن مياه كبير ساعد على استقرار الإنسان فيها من زمن بعيد.

لهذا يمكن تقسيم إقليم سوف إلى ثلاث مناطق:

1-المنطقة الرملية وهي أغلب مناطق وادي سوف ولا تصلح للزراعة إلا بعد الاستصلاح.
2-الهضبة الصخرية من الجهة الغربية.
3-المنخفضات الموجودة شمال وادي سوف، والتي تشكل الشطوط المالحة والتي لا تصلح للزراعة[1].

ج-المناخ:

جو الصحراء في منتهى الحرارة صيفا، وفي منتهى البرودة شتاء، وقد ترتفع الحرارة إلى خمسين درجة في النهار، وتنخفض ليلا إلى ما يقرب من درجة الصفر.

كما تهب رياح السموم التي تسمى ريح الشهيلي وهي ريح جافة ومحرقة، وريح الصبا التي تسمى ريح البحري لأنها تأتي من ناحية البحر تتميز بالنسيم المعتدل[2].

أما الأمطار فهي نادرة التساقط ولا تهطل إلا في بعض الجهات في فصل الشتاء، وقد تتساقط في جميعها ولكن ذلك نادر الحدوث، كما يحدث أحيانا في فصل الربيع والخريف[3].

1-ريان جابر: المرجع السابق، ص ص 12-13.
2-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 57.
3- نفسه، ص 58.

مما سبق ينتج عندنا أن المناخ العام لوادي سوف حار جاف صيفا، وبارد جاف شتاء، وهو يعتبر مناخا قاسيا للحياة الآدمية.

والمياه الصالحة للاستعمال في منطقة وادي سوف في مجملها مياه جوفية باطنية[1].

د-الزراعة:

يصف العياشي في رحلته عندما مرَّ على سوف بأنها "هي خط من النخيل مستعرض في وسط الرمل قد غلب على أكثره، وفيه بلاد عديدة، وماؤها طيب غزير قريب من وجه الأرض، كما كانوا يزرعون أنواعا من الخضر والبقول[2]"، ويعتبر التمر الغذاء الرئيسي للسكان مع حليب الإبل[3]، إضافة إلى ما يصطادونه[4].

مازالت إلى اليوم تعتمد وادي سوف على النشاط الزراعي من النخيل إلى التبغ والخضروات والبطاطا والفول السوداني، حيث أن أغلب السكان تعتبر الزراعة مصدر رزقهم الأساسي وبسبب قرب المياه الجوفية من السطح، عمدوا إلى حفر الغيطان لجعل النخل قرب المياه الجوفية فلا تحتاج للسقي[5].

2-وادي سوف تاريخيا:

الكثيرون يعتقدون حداثة سوف كإقليم آهل بالسكان، لكن المتتبعيين للتاريخ يعرفون أنه في سنة 1957م تم العثور على هيكل عظمي لماموث صوفي شرق حاسي خليفة مما

1-ريان جابر: المرجع السابق، ص 16.

2-عبد الله بن محمد العياشي: **الرحلة العياشية 1661-1663**، مج 01، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006، ص 123.

3-الحاج ابن الدين: **رحلة الأغواطي**، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر للتوزيع، ط خ 01، الجزائر، 2011، ص 96.

4- عبد الله بن محمد العياشي: المصدر السابق، ص 123.

5-ريان جابر: المرجع السابق، ص 26.

يدل على أن المنطقة كانت آهلة بكائنات حية. وهذا الحيوان زامن الإنسان الأول ويُعتقد أن البشر سبب من الأسباب التي أدت إلى انقراضه.

وتذكر كتابات هيرودوت وهانون عن شعوب سكنت هاته الصحراء كالليبيين والأثيوبيين والجيتاليين وزيفون وماسوفا ... وكانوا يرعون أغنامهم بحثا عن الماء والكلأ في المنطقة وهاته الشعوب بادت ولم يبق منها غير بعض الأسماء للقرى مثل تغزوت، وبعض أسماء التمر مثل تكرمست.

وتنقل الأخبار عن جمهور المؤرخين أن الكنعانيين قد بلغوا أرض سوف، وكانت مساكنهم في وادي الجردانية، المدينة التي شيّدها برابرة زناتة حين قدموا إلى سوف، وموقعها شمال الوادي على طريق نقرين.

وفي سنة 21 قبل الميلاد توغل الرومان جنوبا إلى سوف وشيدوا بعض القرى كسندروس أو زملاتسندروس ، وأقاموا في قمار والرقيبة والزقم وقد تم العثور على بعض العملات الرومانية التي تؤرخ لتلك الفترة، وجاء في الصروف: قال الشيخ العروسي في كناشته: "أتى الرومان إلى هذه الأرض (سوف) منذ دهر طويل لا نعرف أوله، وقاتلوا من فيها وأخرجوهم منها فتفرقوا في إفريقية، وسكنوا في مساكنهم (الجردانية والبليدة) وجددوا ما تهدم[1].

ثم توغل الفاتحون كما هو معروف لدى العامة والخاصة من بدايات الفتح الإسلامي الأول في بلاد المغرب حتى وصلوا إلى وادي سوف. ويذكر صاحب الصروف ذلك في قوله: "ثم استثقلت بعض الأعراب بالمغرب الحكم فرجعوا إلى إفريقية بعد أن كانوا عازمين على التعمق في الصحاري حتى لا يراهم أحد، فدخلوا قسطيلة بعدما أطالوا الإقامة دونها في

1- إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص135.

أرض سوف يترددون بين الإقدام والإحجام"[1]؛ إلى أن يصل إلى القول: "هؤلاء العرب هم الذين بلغنا عنهم أنهم نزلوا بنواحي سندروس قبلة عميش"[2].

ثم تعاقبت الدول في بلاد المغرب من الرستمية إلى الأغلبية ثم الفاطمية وتليها دولة الموحدين، وكان لكل دولة منها تواجد لوادي سوف يقل ويضمحل أحيانا ويزيد ويقوى تارة أخرى على حسب الأحداث والحاجة إليها. في هاته المراحل التاريخية تميزت سوف بشيء معين؛ ففي العهد الرستمي انتشر المذهب الإباضي، وتحولت إلى ملجأ للفارين من المذاهب الخارجة من مسيحيين وشيعة في عصر الدولة الأغلبية، وشهد العهد الفاطمي حركة كبيرة للهجرة لبني هلال دامت نصف قرن من الزمان، وغيرها من القبائل العربية والزناتية.

لما نزل بنو هلال وسليم إفريقية، حاربوا زناتة وغلبوهم ودحروا إلى منطقة سوف عند مجرى وادي الجردانية ليستقروا بها بعيدا عن الحروب وتَجبر الحكام، وكان ذلك سنة (449هـ/1057م)[3]، ثم أتوا إليهم عدوان فأخرجوهم منها وعمروها أربعين عاما[4]، سنة (600هـ/1204م)[5]، وانتقل الزناتيون إلى الطرف الغربي من مجرى الوادي عند وادي اوراغ[6] بقرية تكسبت[7]، ولما استقرت عدوان بالجردانية قدمت عليهم طرود سنة (799هـ/1397م)[8]، ودخلا في خلاف انتهى بالصلح لما تدخلت فيه زينب بنت تندلة والشيخ طرد[9]، ونزلا أسفل مجرى الجردانية واستقروا به عند أطرافه[10]، بعدها وقع خلاف

1- إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع نفسه، ص 148.

2- نفسه، ص 149.

3-عبد العزيز حسونة: **عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف من القرن 10 إلى 13 هـ دراسة أثرية عمرانية**، مطبعة مزوار، ط 01، الوادي، 2013، ص 26.

4-محمد بن محمد بن عمر العدواني: **تاريخ العدواني**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، ط خ، الجزائر، 2007، ص 134.

5-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 175.

6-عبد العزيز حسونة: المرجع السابق، ص27.

7-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص114.

8-عبد العزيز حسونة: المرجع السابق، ص27.

9-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص143.

10 -عبد العزيز حسونة: المرجع السابق، ص27.

بين طرود وزناته بتكسبت من أجل الماء، انتهى بانهزام الأخيرة، مع انحياز عدوان لطرود، وطلبت زناتة الصلح من طرود وإظهار الغلبة لهم وكان الأمر كذلك لمدة سنتين، ثم أخلف الزناتيين العهد، ودخلوا في صراع جديد مع طرود، كانت نهايته انهزام زناتة وجلاءها عن المنطقة نحو نفطة وورقلة وتقرت، سنة (818هـ/1416م)[1].

وفي نهاية القرن 15م وقع طاعون بإفريقية سنة (899هـ/1494م)، فتفرق العديد من سكانها إلى أماكن مختلفة، فنزل من بني مجور منطقة سوف الذين أصبحوا من أهلها بعد أن كثُر توافدهم بسبب هذا الوباء، ومع بداية القرن 16م ارتحل بنو سليم من سوف إلى الزاب سنة (912هـ/1507م) مع أصهارهم بني حامد ومن لهم صلة بهم من طرود، ولم يبق بسوف إلا الأخيرة ومن كان من أقاربهم وأصهارهم، ثم عاد بنو سليم مع من ذهب معهم سنة (936هـ/1536م) بعد أن سئموا المعيشة تحت حكام الزاب[2].

ومن بداية التواجد العثماني بالجزائر، صارت سوف تحت حكم شيخ العرب، الذي تولى جمع الضرائب، أو تسيير البايلك لحملات التأديب في حالات العصيان، وكانت بعض القرى تدفع الضرائب وبعضها يتمرد مما يدفع بني جلاب بالدخول في حملات عسكرية تأديبية لمرتين مع بعض قرى وادي سوف.

ولا نتجاوز هنا حين نذكر رحلة الأغواطي الذي تحدث عن سوف: "في وادي سوف عدد وافر من الدشور يمكن أن توفر عشرين ألف رجل ... إلى أن يقول: ... ولا يخضع سكان وادي سوف لحاكم"[3].

ومما سبق يتبين لنا أن منطقة سوف رغم أنها منطقة صحراوية قاحلة لكنها ضجت بالحياة من مطلع التاريخ البشري وقبله إلى اليوم، فهي ليست استثناء من حركة التاريخ ومن التأثر به والتأثير فيه.

لهذا ورد ذكرها في العديد من كتب التاريخ كابن خلدون والعياشي والأغواطي والعدواني...

1-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص ص 206-218.

2- نفسه، ص ص 222-225.

3-الحاج ابن الدين: المصدر السابق، ص 96.

الفصل الأول

الطريقة الشابية نشأتها وتطورها وامتدادها إلى وادي سوف

1-الطريقة الشابية نشأتها وتطورها

2-تطور الطريقة الشابية من السلطة الروحية إلى الدولة الدينية

3-أبرز شيوخ الشابية

4-انتشار الطريقة الشابية من القيروان إلى وادي سوف

1-الطريقة الشّابّية نشأتها وتطورها:

الطريقة الشّابّية هي طريقة ناصرية[1] شاذلية[2]، تأسست على يد أحمد بن مخلوف الشابي[3](835-898هـ/1431-1492م)[4]، الذي يعود نسبه[5] إلى الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وسميت الطريقة بهذا الاسم نسبة لقرية الشابة التابعة لمدينة المهدية والقريبة من القيروان بتونس[6]، وبعد تلقي أبن مخلوف العلم بتونس على الشيخ أحمد بن عروس الذي

1-**الناصرية:** نسبة إلى الشيخ محمد بن ناصر الدرعي، ويعتبر ابن مخلوف أحد اتباعه. أنظر: خير الدين شترة: **قضايا التصوف ومظاهر الصوفية وأبحاث عن نزعة الإصلاح وبعض أعلامه بالجزائر**، دار الصديق للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 2015، ج01، ص 113.

2-**الشاذلية:** نسبة للشيخ أبي الحسن الشاذلي التونسي (ت 1258م). أنظر: خير الدين شترة: المرجع نفسه، ص 114.وانظر: الملحق رقم 01.

3-**أحمد بن مخلوف الشابي:** ولد ببلدة الشابة على الساحل التونسي، ولقب نفسه بالشابي، ويوجد اختلاف في تاريخ ولادته ووفاته والمرجح (835-898هـ/1431-1492م)، حفظ القرآن ببلدته، ثم انتقل إلى تونس ومكث بها في الفترة (853-861هـ/1449-1456م) فتلقى بها العلوم الشرعية واللغوية على يد شيوخه محمد بن قاسم الرصاع (ت894هـ/1488م)، ومحمد القسنطيني، ومحمد البيدموري وغيرهم. كما انشغل بالتصوف ودراسة أصوله الذي ساعده في تأسيس الطريقة الشّابّية. وبعد إقامته بتونس، انتقل إلى الشابة فقصور الساف ليستقر بعدها في القيروان سنة (870هـ/1465م) لنشر دعوته باعتبار أن القيروان العاصمة الروحية للمسلمين في المغرب الإسلامي. وفي (878هـ/1473م) ذهب إلى الحج، وعاد بعدها إلى القيروان وبدأ يدعو إلى طريقته بأكثر تصميم من ذي قبل رغم الصعوبات والمعارضين له، وتصل دعوته بفضل تلاميذه ودعاته إلى مختلف القبائل التونسية والجزائرية خاصة قبيلة الحنانشة التي كان لها دور في نشر دعوته بين القبائل الأخرى، وخلف ابن مخلوف سبعة أولاد وبنت واحدة وكلهم حفظوا القرآن وتفقهوا في الدين، وبذلك كسبوا التهيئة لخلافته من بعده. علي الشابي: **العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية**، الدار التونسية للنشر، د ط، تونس، 1979، ص ص 21-63.

4-محمد الأمين بلغيث: **الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشّابّية**، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع، ط02، الجزائر، 2007، ص 99.

5-أحمد بن مخلوف بن علي بن محمد بن مساعد بن سليمان بن مروان بن عبد الغني بن حسين بن أحيد بن حميد بن ليث ابن عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد العزيز بن سهم بن هنين بن تانير بن أوراد بن هذيل بن عبد الرحمان بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. أنظر: على الشابي: المرجع السابق، ص 23. وانظر: الملحق رقم 02.

6-صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البصائر، ط خ، الجزائر، 2009، ص 166. وخير الدين شترة: **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي (الجزائر وتونس انموذجا)**، الملتقى الدولي حول التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة،11، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 09-10-2008/11/11، ص 172.

أنكر فيما بعد على هذا الأخير مخالطة الرجال مع النساء في محضره، انتقل بعدها إلى الشيخ علي المحجوب بقصور الساف[1] وأقام مع شيخه مدة من الزمن، ثم أشار عليه بالذهاب إلى القيروان ليستقر بها[2]. وكانت بذلك الانطلاقة الحقيقية لظهور الأسرة الشّابّية عبر الدعوة الصوفية[3]، فالتف حوله السكان وكثر أتباعه ومريدوه فكون منهم فرقة الشّابّية وأصبح إماما ومعلما، لتنتشر طريقته انتشارا واسعا[4]، وقد ساعده على ذلك تلاميذه الدعاة من أبرزهم: أحمد الغوث التباسي التوزري وأحمد المقنعي الحناشي الجزائري، وكانا لهما الفضل في توبة الأعراب وترويض القبائل وانتشار الدعوة الشّابّية. كما استطاع ابن مخلوف نشر الأمن في عدة بقاع تونسية حينما حلت الفوضى في أواخر العهد الحفصي[5].

جاءت دعوة ابن مخلوف بعد أن شهد تراجع الإسلام وضعف الإيمان وتدني الأخلاق مع ضعف النظام السياسي الحفصي، فأعاد للإسلام مكانته بين القبائل، وكان له دور في استتباب الأمن نظرا لاستجابة القبائل له لما عرف عليه من علم وتقوى وأخلاق.

وقد أقيمت الطريقة الشّابّية حسب أحمد بن مخلوف على العلوم الثلاثة: علم الشريعة وعلم التوحيد وعلم السر أو علم النفوس، بالاعتماد على أربعة أصول: الكتاب والسنة والتوحيد والأخلاق، وحسب علي الشّابّي نقلا عن محمد المسعود الشّابّي في كتابه "الفتح المنير" اعتبر هذا الأخير "أن من خالف الكتاب كفر، ومن خالف السنة ابتدع، ومن لم يعرف التوحيد جهل ولم يحصل له الإيمان، ومن لم يتخلق بالأخلاق المحمودة ولم يتخل عن الأخلاق المذمومة، كان كالبهيمة بل هو أضل سبيلا"[6].

1-**قصور الساف:** مدينة تونسية تقع في الشمال الشرقي، تابعة لولاية المهدية. انظر: موقع Google Earth.

2-محمد البهلي النيال: **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**، دار آفاق برسبكتيف للنشر، ط02، تونس، 2013، ص 194.

3-علي الشّابّي: "**مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشّابّية**"، المجلة التاريخية المغربية، ع 13 و14، تونس، 1979، ص 55.

4- صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 166.

5- محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص99.

6-علي الشّابّي: **العارف بالله أحمد بن مخلوف الشّابّي وفلسفته الصوفية**، ص ص 81-82. وعلي الشّابّي: **تاريخ الشّابّية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، دار نقوش عربية، ط01، تونس، 2015، ص ص 304-305.

وللشّابّية أذكار وقواعد مثل باقي الطرق الصوفية تكررها بعد صلاة الفجر تسمى السبعينية أي تكرر سبعين مرة[1]. أما أورادها فتتمثل في الاستغفار مئة مرة، و ذكر لا إله إلا الله مئة مرة، والصلاة على رسول الله صل الله عليه وسلم مئة مرة[2]. كما تعتمد على حزب البحر لأبي الحسن الشاذلي. لهذا اعتبرت الطريقة الشّابّية متفرعة عن الطريقة الشاذلية، ولكن يرى علي الشّابّي أن هذا لا يكفي لإثبات الانتساب لها لأن الأصول الفلسفية التي قامت عليها الطريقة الشّابّية تجعل منها طريقة متميزة[3].

وإن تغلغل الطريقة الشّابّية والقبول بها بين القبائل في مختلف المناطق التونسية والجهة الشرقية للجزائر ساعدها على تلقي المساندة المادية والبشرية من قبائل: الحنانشة، وأولاد سعيد، وطرود، ودريد، والنمامشة، وبني بربار، والهمامة،[4] وأولاد مهلهل، والحراكته وغيرهم، فحملوا على عاتقهم مشروع الطريقة بنشر دعوتها و ضمان استمراريتها، و بذلك استطاعت الطريقة الاستفادة منهم في توسيع نفوذها[5]حتى وصلت وسط تونس وشمالها الغربي ونواحي الجريد التونسي والشرق الجزائري الممتد من عنابة شمالا إلى وادي سوف جنوبا عبر خنشلة، وتبسّة والخنقة[6]، لتنتشر بعدها مؤسساتها الدينية المتمثلة في المساجد والزوايا من خلال شيوخها وقادتها.

بعد مرحلة نشر الدعوة، انتقلت الطريقة الشّابّية إلى مرحلة تأسيس الدولة وساعدها ذلك تدعيم القبائل لها، خاصة قبيلة الحنانشة التي أصبحت قوة ضاربة مع بداية القرن

1-محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص 103.

2-يوسف بن حيدة: **التواصل الطرقي بين الجنوب الشرقي الجزائري ومنطقة الجريد خلا ل القرن 19م**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري والتونسي 1881-1954م، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، 10-2013/11/11، ص 07.

3-علي الشّابّي: **العارف بالله أحمد بن مخلوف الشّابّي وفلسفته الصوفية**، ص 82.

4-محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص ص 102-108.

5-يوسف بن حيدة: المرجع السابق، ص 07.

6-خير الدين شترة: **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي (الجزائر و تونس انموذجا)**، ص173.

السادس عشر استفاد منها الشيخ عرفة بن أحمد بن مخلوف الشابي مع مساندة القبائل الأخرى له في تأسيس دولته، ليظهر كأهم شخصية صوفية سياسية في إفريقية، خاض فيها عدة معارك ضد الحفصيين والإسبان وانتصر عليهم. وبعد وفاته خلفه ابن أخيه محمد أبن أبي الطيب الذي قتله العثمانييون سنة (965هـ/1557م)[1] من طرف درغوث باشا وقضى على الدولة الشابية[2]التي لم تعمر سوى اثنتين وعشرين سنة[3]. بينما يشير شارل مونشيكور في كتابه أن ابن أبي الطيب تمكن من الوصول إلى الحمامات بعد فراره من القيروان، وأخذ يتنقل إلى مشارف جربة والمناطق الخاضعة لدرغوث باشا إلى غاية 1560م[4]. وأكد ذلك علي الشّابّي في كتابه[5] على عكس ما أورده في مقاله على المجلة التاريخية المغربية.[6]

بعد أن سقطت الدولة الشّابّية، جاءت مرحلة الانقسام و استمرار النضال[7] مع المحافظة على ولاء القبائل، فانقسمت الشّابّية إلى ثلاثة أقسام حسب اتجاه قادتها: قسم ذي اتجاه روحي يمثله بدر الدين ابن محمود بن عبد اللطيف ومحمد المسعود الشّابّي وابناه كنوز وعلي، وقسم ذي اتجاه ديني وسياسي جمع بين هداية الناس ومحاربة العثمانيين، ويمثله محمد الزفزاف بن عرفة الشّابّي ومحمد بنور بن عبد اللطيف والد محمد المسعود وعبد الصمد؛ وقسم ذي اتجاه ثوري حربي يريد استرجاع الدولة المفقودة والانتقام لذويه ويمثله عبد الصمد وعلي بن عبد الصمد وبوزيان بن علي. واشتركوا كلهم في المحافظة على ولاء القبائل التونسية والجزائرية. واستمر الصراع مع العثمانيين إلى غاية (1088هـ/1677م)،

1- علي الشابي: **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشّابّية**، ص ص 56-57.

2- صباح بعارسية: "**دور المتصوفة في الجزائر خلال 10هـ/16م**"، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، د ت، ص 11.

3-محمد الأمين بلغيث: مرجع سابق، ص 102.

4-شارل مونشيكور: **القيروان والشّابّية (1450-1592)**، تر: محمد العربي السنوسي، دار نقوش عربية، ط01، تونس 2015، ص 165.

5-علي الشابي: **تاريخ الشّابّية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص 352.

6-علي الشابي: **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشّابّية**، ص 57.

7-علي الشابي: **تاريخ الشّابّية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص 350.

ليستقر بعدها بين القبائل إلا النفوذ الروحي للشّابّية[1]، إلى أن شهدت تراجعا كبيرا في النصف الثاني للقرن التاسع عشر بتقلص نفوذها أمام الطرق الصوفية الأخرى، وتأثير الاحتلال الفرنسي للجزائر وتونس والمواقف منه.[2]

2-تطور الطريقة الشّابّية من السلطة الروحية إلى الدولة الدينية:

بعد وفاة الشيخ محمد الأكبر ابن أحمد بن مخلوف سنة (890هـ/1494م)، تولى أمر الطريقة الشّابّية الشيخ عرفة الشابي، فشهدت الطريقة في عهده توسعا كبيرا وازدهارا[3]، فانتقل بها من فترة الظهور إلى فترة التوسع والزعامة، وذلك بجمعه بين السلطة الروحية والسلطة السياسية، حيث قال والده أحمد بن مخلوف: "أما زماننا فنور وإشراق، وأما زمن عرفة ففتح وأرزاق"[4]. فصدق حدس الوالد لابنه، فما أن تولى السلطان الحفصي الحسن بن محمد بن الحسن سنة (932هـ/1526م) السلطة بعد وفاة أبيه[5]، الذي تظاهر بحسن سيرته في بادئ الأمر، لكن ذلك لم يستمر طويلا، إذ ساءت سيرته بين الناس، فاضطربت أمور البلاد[6]، وخرجت عن طاعته مدينتا سوسة والقيروان، وثار بهما الشيخ عرفة بن نعمون[7] الشابي جد الشابيين[8]، وظلت تحت سيطرة آل الشابي دون أن تتمكن السلطة الحفصية من استرجاعها[9].

1-علي الشابي: **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشّابّية**، ص 57.

2-يوسف بن حيدة: مرجع سابق، ص 08.

3- صلاح مؤيد العقبي: مرجع سابق، ص 166.

4- علي الشابي: **العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية**، ص 64.

5-أحمد بن أبي الضياف: **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، ط02، تونس، 2004، ج01،ص191.

6-محمد العروسي المطوي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، د ط، بيروت، 1986، ص 683.

7-فند علي الشابي هذا النسب (ابن نعمون) واعتبره خطأ وقع فيع ابن ابي الدينار ومن بعده الوزير السراج ومقديش وابن أبي الضياف، في جعلهم الشابيين من ذرية سيدي نعمان دفين الشابة لأن هذا لا يوجد ضمن سلسلة نسب ابن مخلوف. أنظر: علي الشابي: **العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية**، ص 23.

8-أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق، ص 191.

9-محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص 683.

وفي الفترة الممتدة ما بين (1525–1535)م احتدم الصراع بين العثمانيين والإسبان من أجل السيطرة على تونس، فسقطت هذه الأخيرة بيد العثمانيين يوم 19 أوت 1534م، ثم استنجد الحسن الحفصي بالإسبان سنة (942هـ/1535م) من أجل طرد العثمانيين وإرجاعه إلى العرش، فتمكن الامبراطور الإسباني شارل الخامس من احتلال تونس يوم 14 أوت 1535م وطرد خير الدين بربروس وفراره إلى عنابة. ثم أَجلس الحسن على عرشه من جديد، وقد خشي الشيخ عرفة الشابي أن تصبح إفريقية مركزا للصراع يفقدها شخصيتها وتضيع هويتها، فاستباح الإسبان مدينة تونس لمدة ثلاثة أيام بموافقة الحسن الحفصي الذي كان همه الجلوس على عرش بائد، وارتكبوا عمليات سلب ونهب وقتل، لم تشهدها تونس من قبل سميت هذه الوقعة بخطرة الأربعاء[1]، لأنها كانت موافقة لآخر الأربعاء من شهر صفر عام 942هـ وشهر صفر الموافق أواخر شهر جويلية إلى أواخر شهر أوت 1535م[2]. وقد أثرت هذه الواقعة في مشاعر الشيخ عرفة الشابي، فتحول إلى تونس في خمسمائة جمل لنقل الفارين إلى القيروان، فنقل عددا كبيرا منهم وهو يتملكه الحزن والأسى على ما حصل لهم[3]، وإثر هذه الواقعة، أعلن الشيخ عرفة الشابي استقلاله بالقيروان وبمناطق القبائل الحليفة له[4].

جهز الحسن الحفصي مباشرة حملة عسكرية باتجاه القيروان من أجل استعادتها من الشيخ عرفة، غير أن جيشه مُني بهزيمة شنيعة في باطن القرن على مسافة 12 كيلومتر غربي القيروان في شهر سبتمبر 1535م[5]، من قبل جيش عرفة المكون من أهم القبائل الحليفة كالحنانشة، والنمامشة، ودريد، والحراكته، وبني بربار، والهمامة، وأولاد سعيد[6]

1–علي الشّابّي: **عرفة الشّابّي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، الدار العربية للكتاب، د ط، تونس، 1982، ص ص111–116.

2–شارل مونشيكور: مرجع سابق، ص 63.

3–علي الشّابّي: **عرفة الشّابّي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص 117.

4–علي الشّابّي: **تاريخ الشّابّية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص 280.

5–شارل مونشيكور: المرجع السابق، ص 63.

6–علي الشابي: المرجع السابق، ص 281.

وطرود[1]ليجعل من القيروان مركزا (عاصمة) دينيا وسياسيا[2]، ويحاول تأسيس مملكة[3] أوإمارة[4] (دولة) في ظل الوضع المتسم بالفوضى[5]، عندها عمل الشيخ عرفة الشابي على تحرير إفريقية من الغزاة والحفصيين فنشر نفوذه إلى مقربة من مدينة تونس وفي بلاد الساحل والوسط والشمال الغربي والجنوب ومنطقة قسنطينة وبلاد سوف فاستطاع ضمها إليه[6]، حيث خاض بعد معركة باطن القرن عدة معارك للحفاظ على نفوذه في المناطق الموالية له وتثبيت قواعد دولته، ومن أهمها:

-معركة المنستير[7] يوم 12 نوفمبر 1540 والتي جمعت بين الحسن الحفصي والإسبان ضد الشيخ عرفة الشابي في المكان الذي يتوسط المنستير وجَمّالاً عند الوردانين والساحلين، ويبعد عن جَمّال والمنستير نحو (10كلم)، ودامت الحرب يوما كاملا من التاسعة صباحا إلى الغروب، انهزم فيها الجيش الحفصي بهروب الحسن إلى مدينة سوسة، وتراجع الجيش الإسباني إلى المنستير[8]، وبقيت القيروان مستعصية أمام الحفصيين والغزاة إلى أن توفي الشيخ عرفة بعد هذه الانتصارات ما بين (948-949هـ/1542-1543م)[9]، الذي كان

1-علي الشابي: **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص 77.

2-صلاح مؤيد العقبي: مرجع سابق، ص 166. ورحيمة بيشي: **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية (898-982هـ/1494-1574م)**، رسالة ماجستير، إشراف: شكيب بن حفري، المشرف المساعد: إبراهيم سعيود، قسم التاريخ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2011-2012، ص 46.

3-أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، دار الغرب الإسلامي، ط01، بيروت، 1998، ج04، ص276.

4-صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 166.

5-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 275-276.

6-علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص 279. وعلي الشابي: **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص 121.

7- معركة المنستير هي نفسها معركة جَمال. أنظر: شارل مونشيكور: مرجع سابق، ص73.

8- علي الشابي: **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص ص 132-134.

9-شارل مونشيكور: المرجع السابق، ص ص 82-83.

مناهضا للسلطة المركزية بتونس وواجه فيها الغزاة الإسبان، وأعلن الجهاد عليهم. كما كانت له طموحات بعيدة المدى سعى من خلالها إلى تولي سلطة تونس[1].

تولى أمور الشابية بعد عرفة الشابي ابن أخيه محمد بن أبي الطيب. وخلال فترة حكمه، ظل الحسن الحفصي يصر على استباحة القيروان عدة مرات، وذلك بالاستنجاد بالأوروبيين بقصد القضاء على الشابية وطرد العثمانيين من ساحل إفريقية، غير أن محاولاته باءت بالفشل، إلى أن لفظ أنفاسه وهو في الطريق قادما من أوربا بقوة بحرية إلى مدينة المهدية من أجل استعادة عرشه الضائع في جويلية 1550م[2].

كما شهدت هذه الفترة استيلاء أحمد بن الحسن الحفصي على عرش والده سنة 1543م عندما كان هذا الأخير في رحلة إلى أوربا[3]، وعند عودته، تم سجنه وسَمَلْ عينيه[4]، ثم فر من سجنه واقتيد من قبل صهره القليعي إلى القيروان ليلتقي أول مرة بأولاد عرفة الشابي، وكان لقاء قاسيا ومهينا فطلبوا منه إنشاد أغنية ورغم الإهانة فقد غنى لهم بيتا من الشعر ثم توقف وأجهش بالبكاء، فانسحب أبناء عرفة مرتعدين وهم لا يعرفون موطئ أقدامهم[5]، وظل مقيما بالقيروان تحت حماية الأمير محمد بن أبي الطيب الشابي إلى أن فر إلى أوربا سنة 1550م من أجل الاستعانة بهم لاستعادة ملكه الضائع[6].

بعد وفاة الحسن الحفصي استمر الصراع بين السلطان أحمد الحفصي وابن أبي الطيب، إلى أن أخذ درغوث باشا القيروان من هذا الأخير، بعد أن أرسل إليه أهل القيروان وهو بطرابلس، فسلموا له البلاد لما جاءهم، وانحرفوا عن ابن أبي الطيب الذي ساءت سيرته

1- محمد الأمين بلغيث: مرجع سابق، ص 63.
2-علي الشابي: مرجع سابق، ص ص 137-139.
3- شارل مونشيكور: مرجع سابق، ص 131.
4- علي الشابي: المرجع السابق، ص 138.
5- شارل مونشيكور: المرجع السابق، ص ص 133-134.
6- علي الشابي: المرجع السابق، ص 139.

في الناس[1]، فقضى عليه درغوث باشا وعلى دولته سنة 964هـ/1557م[2]، وشرد أهله وحاميته إلى الزاب، واستخلف على القيروان حيدر باشا ثم رجع إلى طرابلس[3].

يذكر شارل مونشيكور في كتابه أن محمد بن أبي الطيب قد تمكن من الوصول إلى الحمامات بعد فراره من القيروان، وأن ابنه فُقِدَ خلال اضطرابات القيروان التي حدثت أثناء استقبال درغوث باشا، وظل ابن أبي الطيب يتنقل إلى مشارف جربة بين المناطق الخاضعة لدرغوث، فتحالف مع الإسبان ضد العثمانيين واستطاع الأسطول العثماني القضاء على الأسطول الإسباني في جربة يوم 11 ماي 1560 ففر ابن أبي الطيب إلى اليابسة بحجة جمع الجند، وبذلك استسلمت الحامية الإسبانية لقلعة جربة وأصبح درغوث باشا سيد طرابلس والسواحل التونسية، لتنتهي الخلافة الشابية مع نهاية محمد ابن أبي الطيب[4].

لتنتشر بعدها الشابية إلى الجنوب الغربي التونسي والشرق الجزائري[5]، وتمركز أغلبهم بمدينة توزر حيث كونوا بلدة الشابية[6].

تولى أمور الشابية بعد محمد بن أبي الطيب، ابن عمه محمد الزفزاف ابن عرفة[7]. ففي فترة تنقلات ابن أبي الطيب في الوسط والشمال والجنوب الشرقي خلال (1557-1560م)، كان محمد الزفزاف يناضل من أجل تكوين إمارة في الجنوب بعد فراره من القيروان، والتي تمتد من قفصة إلى مشارف بسكرة، حيث كان هذا الإقليم مسرحا لنشاطه،

1-ابن أبي الدينار: **المؤنس في اخبار افريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، ط01، تونس، 1286هـ، ص ص 152-153.

2-صباح بعارسية: مرجع سابق، ص11.

3-أحمد ابن أبي الضياف: **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، ط02، تونس، 2004، ج02، ص 16.

4- شارل مونشيكور: مرجع سابق، ص ص 165-175.

5-محمد الأمين بلغيث: مرجع سابق، ص 102.

6- صلاح مؤيد العقبي: مرجع سابق، ص 167.

7- شارل مونشيكور: المرجع السابق، ص 175.

واستطاع بذلك القضاء على الحامية العثمانية في بسكرة المتحالفة مع السلطان أحمد الحفصي سنة 968هـ/1560م[1]. ثم استولى على توزر التي كانت تحت سيطرة السلطان أحمد الحفصي، ثم توجه نحو قفصة التي انسحب منها العثمانيون[2]، واستطاع بذلك تكوين إمارة الشابية في الجنوب وعاصمتها قفصة أو توزر بدلا من القيروان المفقودة. وسقطت هذه الإمارة على يد حيدر باشا سنة 1576م، وبذلك انتهى حكم الشابية، وتوفي محمد الزفزاف في العام الموالي[3].

كان عبد الصمد الشابي قد ظهر إلى ساحة الصراع سنة (975هـ/1567م) وهو لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، من أجل استعادة الدولة والانتقام من العثمانيين. كما واجه الحفصيين (أحمد سلطان ثم محمد الحفصي)، وقد تعاون مع العثمانيين ضد الإسبان مقابل الحصول على إمارة. وبعد هزيمة الإسبان وعدم حصوله على الإمارة الموعودة من العثمانيين، دخل معهم في حروب متلاحقة في كل من تونس والجزائر إلى أن أستطاع تكوين دولة بدوية في الجزء الغربي من أفريقية ما بين (1000هـ/1591م-1025هـ/1616م) أطلق عليها الجمهورية البدوية الشابية، ولقب عبد الصمد بسلطان العرب، وامتدت رقعتها الجغرافية إلى قبائل دريد التي صارت تحت رئاسته، وشملت أيضا مناطق السرس والهمامة والجريد بتونس، ومناطق جبل ششار وتبسة وضواحي قسنطينة وعنابة وسوق أهراس والقالة بالجزائر[4].

أشتد الصراع العثماني في أواخر عهد عبد الصمد الشابي[5] من أجل استرداد الدولة

1-علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص ص 352-353.

2-شارل مونشيكور: مرجع سابق، ص ص 173-174.

3-علي الشابي: المرجع السابق، ص ص 354-388.

4-نفسه، ص 366.

5-علي الشابي: **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية**، ص 57.

والانتقام لذويه[1]، خاصة بعد مقتل والده محمد بنور سنة 1592م[2]. كما واصل أبناء وأحفاد عبد الصمد من بعده النضال الشابي بقيادة علي بن عبد الصمد (ت1637م) ثم بوزيان بن علي وأقربائه إلى غاية سنة 1088هـ/1677م، بعد الهزائم التي منوا بها. ولكن ذلك لم يحد من نفوذهم الروحي بين القبائل[3]،وبذلك طويت صفحة الصراع وفتحت صفحة التعاون بين الطرفين خلال الحكم الحسيني[4].

إضافة إلى الاتجاهين اللذين شهدتهما الفترة (1535–1677)م الأول ذو اتجاه روحي زمني متمثل في عرفة الشابي، ومحمد الزفزاف بن عرفة ومحمد بنور بن عبد اللطيف، واتجاه ثوري مثله عبد الصمد وأبناؤه وأحفاده، وظهر اتجاه ثالث هو الاتجاه الديني الروحي والمتمثل في بدر الدين بن محمود بن عبد اللطيف الشابي، ومحمد المسعود الشابي وابناه كنوز وعلي الشابي.

وبعد سقوط الدولة الشابية سنة 1557م، توجه محمد الزفزاف نحو الجنوب وكون إمارة، وكان تلميذه بدر الدين الشابي المتفرغ للتصوف يريد ثنيه عن الثورة، إلا أنه لم يسمع إليه، وقرر محمد الزفزاف مواجهة الحفصيين والعثمانيين معا، فقال له بدر الدين: "أن الشيخ عرفة لا ينصرف إلى هذا الأمر، وإنما نحن معروفون بالفقر وبإعطاء العهد"؛ فرد عليه محمد الزفزاف " أما أنت فقد وجدت ما طلبته، وأما نحن فلم يكن لنا منه (القتال) مخلص حتى نلقى الله"[5].

تولى الطريقة الشابية بعد بدر الدين الشابي تلميذه محمد المسعود الشابي الذي حافظ على سيادة وبقاء الطريقة الشابية على المستوى الروحي والتربوي، حيث كان أغلب شيوخها

1–علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص 366.
2–نفسه، ص ص 374–378.
3–علي الشابي: **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية**، ص 57.
4–علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص ص 378–380.
5–نفسه، ص 353.

من أحفاد أبي الكرم بن أحمد بن مخلوف باستثناء محمد الكبير، والشيخ عرفة وابناه (أحمد ومحمد الزفزاف) وكذلك محمد بن أبي الطيب.[1]

لقد كان محمد المسعود الشابي داعيا لطريقته الصوفية، وهي الطريقة الشابية، في مناطق الجنوب الغربي التونسي والمناطق الجزائرية المجاورة من جبل ششار بالأوراس إلى بلاد سوف، بعدها سافر إلى تونس بعد اشتداد أذى أخيه عبد الصمد عليه،[2] الذي كان يستهجن انصراف أخيه للعلم والإرشاد بقوله: "خليك طويلب"[3]، ثم ينتقل إلى جبال ورغة بالكاف من أجل الوعظ والإرشاد، ليعود مجددا إلى جبل ششار ويباشر دعوته في الزاوية التي أسسها هناك، وأخذ يتردد على بلاد سوف هو وابنه علي، ويواصل عبد الصمد إلحاق الضرر الذي كاد أن يقتله لأنه لم ينضم له في القتال، فصبر إلى أن توفي عبد الصمد سنة (1025هـ/1616م)[4].

وبعد وفاة محمد المسعود الشابي عام (1028هـ/1618م)، تولى ابنه علي أمور الطريقة الشابية، وسار على نفس نهج والده، واعظًا ومرشدًا ومعلما ومربيا لأبناء القبائل، مما ساعده ذلك في تطوير الزاوية[5] والنهوض بمهمتها، والسعي إلى تميزها بين الزوايا، فأسس منشأة بيت الشريعة سنة (1040هـ/1630م)[6] في الصحراء التونسية الجزائرية أثناء تردده عليها لتكون كالزاوية بجبل ششار[7]. وهي عبارة عن خيمة تحمل طابع مؤسسة تربوية

1-محمد الأمين بلغيث: مرجع سابق، ص ص 100-101.

2-علي الشابي: **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية**، ص 63.

3-علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص 361.

4-علي الشابي: **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية**، ص 63.

5-يوجد ثلاث زوايا، الأولى بالقيروان أسسها أحمد بن مخلوف الشابي، والثانية بالقارية بجبل بني صالح أسسها بدر الدين بن محمود بن عبد اللطيف الشابي، والثالثة بجبل ششار بالأوراس أسسها محمد المسعود الشابي. انظر: علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص 387.

6-نفسه، ص ص 395-397.

7-علي الشابي: **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية**، ص 73.

وقضائية، يعقد بها مجالس العلم والذكر والقضاء، إضافة أنها مقر للضيوف والفقراء والمساكين، فأصبحت مقصدا لطلاب العلم وملجأ للخصوم للفصل في قضاياهم[1].

وقد كان شيوخ[2] بيت الشريعة عبر تاريخها يتنقلون إلى مناطق القبائل الحليفة، خاصة منطقة قسنطينة ومناطق النمامشة والزاب وسوف، ومريديهم ببلاد الهمامة والفراشيش وأولاد عيار وسراط والسرس ونفطة وتوزر. واستمرت منشأة بيت الشريعة تؤدي مهمتها العلمية والقضائية والإرشادية طيلة 237 سنة في المدة بين (1040هـ/1630م-1284هـ/1867م)[3].

وبالرغم أن الطريقة الشابية جمعت بين ثلاثة اتجاهات خلال القرنين 16م و 17م، إلا أنه في النهاية استمر اتجاه واحد وهو الاتجاه الديني الروحي، نظرا لنتائج الأحداث والصراعات في تونس والجزائر التي شهدها القرنان الماضيان، مما دفع بالشابية إلى التخلي عن الجانبين السياسي والعسكري، والجنوح إلى الدور التربوي والإصلاحي مع بداية القرن 17م إلى غاية القرن 19م.

3-أبرز شيوخ الشّابّية:

اعتمدت الطريقة الشّابّية منذ ظهورها من طرف أحمد بن مخلوف الشّابّي على كسب القبائل لصالحها، لتسهيل عملية انتشارها وبسط نفوذها عبر مختلف المناطق التونسية والجزائرية من خلال التواصل بين شيوخ الطريقة والقبائل، ومن أبرز شيوخها الذين امتدت علاقاتهم إلى وادي سوف هم:

1-علي الشابي: **العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي و فلسفته الصوفية**، ص ص 09-113.

2-انظر الملحق رقم 03.

3-علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص ص 398-399.

-عرفة بن أحمد بن مخلوف الشابي:

هو عرفة بن أحمد بن مخلوف الشّابّي[1]، ولد لما كان والده بالحج سنة (878هـ/1473م) وهو بجبل عرفات علم بذلك فقال له صاحبه اليمني سمه عرفة ففعل ابن مخلوف لما عاد إلى القيروان[2]، وعاش عرفة في فترة اشتد فيها الصراع بين العثمانيين والإسبان من أجل السيطرة على إفريقية الحفصية التي وهنت وضعفت فيها الدولة الحفصية[3].

في ظل هذا الصراع أعلن عرفة استقلاله في القيروان[4] ليصبح أول أمراء الشّابّية[5] ويشمل نفوذه إلى الوسط والجنوب الغربي والشمال الغربي ومنطقة قسنطينة إلى جبال الأوراس وبلاد سوف، حتى مشارف تونس[6]. واستطاع مع أتباعه تكوين دولته سنة (942هـ/1535م) بمساندة قبائل الحنانشة، ودريد، وطرود، وأولاد سعيد، وأولاد أبي الليل وغيرهم[7]، بعد موقعة خطرة الأربعاء ومعركة باطن القرن كما ذكرنا سابقا.

ويعتبر عرفة الشّابّي من فقهاء ومشايخ ومتصوفة القرن 10هـ/16م[8]، حيث قال فيه والده: "نطفة نقية من رحم تقية تتكلم بالحكمة كما هي". مما ساعده ذلك لتولي الطريقة الشّابّية بعد وفاة أخيه الأكبر محمد الكبير سنة (900هـ/1494م). وتشهد فترته نهوضا وتوسعا بين مختلف القبائل التونسية والجزائرية التي كانت تحت نفوذه، وتلعب دورا دينيا

1-علي الشّابّي: **عرفة الشّابّي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص 18. ومحمد الضحاك الشّابّي وعبد الله الشّابّي: **شجرة نسب الشّابّية**، جمعية الشّابّي للتنمية الثقافية والاجتماعية، ط01، تونس، 2017.

2-علي الشّابّي: **العارف بالله أحمد بن مخلوف الشّابّي وفلسفته الصوفية**، ص 63.

3-علي الشّابّي: **عرفة الشّابّي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص 17.

4-نفسه، ص 17.

5-محمد لخضر بوبكر: **الجواهر المكنونة في التعريف بمعالم ومتصوفة بونة**، مؤسسة الرجاء للنشر، د ط، قسنطينة، 2018، ص 58.

6-علي الشّابّي: المرجع السابق، ص 17.

7-علي الشّابّي: **العارف بالله أحمد بن مخلوف الشّابّي وفلسفته الصوفية**، ص 64.

8-محمد لخضر بوبكر: المرجع السابق، ص 58.

وسياسيا مكنه من إنشاء دولته سنة (942هـ/1535م)[1].

كان لعرفة براعة تربوية استطاع أن يؤلف حوله أنصارا كثيرين في المشرق والمغرب. كما عرف بخبرته النفوس وعمق تأثيره في قلوب الأتباع، واستطاع الانتصار على قماش المسعودي الذي نازعه على تولية الطريقة الشّابّية، بعد أن ناصره أولاد مسعود الذين أثمرت فيهم تربية عرفة الروحية[2].

إن انتصار عرفة وطريقته لم يمر دون عراقيل، فقد تعرض لانتقاد القضاة وعداوة علماء تونس خلال فترة الحسن الحفصي، حيث تعرض للسجن بسبب وشاية من طرف العالم محمد السنوسي لإثارة السلطان ضده، لغيرته من علمه. وظل في السجن طوال تسعة أشهر إلى أن أطلق السلطان سراحه[3].

وما أن استنجد الحسن الحفصي بالإسبان سنة (942هـ/1535م) من أجل طرد العثمانيين، حتى أعلن الشيخ عرفة بداية مقاومته للغزو الإسباني وثورته على الحفصيين. كما كان موقفه من العثمانيين لا يختلف عن الإسبان باعتبارهم أجانب عن البلاد، وليس لديهم الحق في تمثيل الإسلام والمسلمين وحمايتهم، نظرا لموقعه الصوفي الديني والسياسي[4].

لقد ترك الشيخ أثرا دينيا وروحيا بين القبائل، خاصة بعد انتصاره في منع انشقاق قبيلة الحنانشة في حادثة قماش المسعودي وأولاد مسعود، فاستطاع بدعوته توسيع مجال طريقته إلى عدة مناطق، وصلت حتى خارج التراب التونسي والجزائري فأصبح لديه مقدمون في سوريا، ومراكش وحتى في البلدان المسيحية. كما كان يفد إليه الشيوخ والمريدون والزائرون في بستانه بالقيروان الذي جمع في يوم واحد حوله 4400 زائر في حضرة من حضرته، وتكفل بهم من ناحية المأوى والمأكل. وعلم الشيخ عرفة أهل البدو المبادئ الإسلامية التي كانوا يجهلونها بعد أن تراجع الإسلام في إفريقيا الشمالية، حتى وصل

1-علي الشّابّي: مرجع سابق، ص 64.

2-علي الشابي: **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية**، ص ص 68-69.

3-شارل مونشيكور: مرجع سابق، ص ص58-59.

4- علي الشابي: المرجع السابق، ص ص70-71.

عدد من صافحهم حوالي 114000 رجل، وهو عدد كبير مقارنة بعدد سكان إفريقية في تلك الفترة[1].

كان للشيخ عرفة ثلاثة أبناء هم: أحمد (أبو العباس)، ومحمد الزفزاف، والطاهر[2] وبنت. وقد وفق في تربيتهم، حيث كان لهم دور في تهيئة القبائل للحرب وإقحامهم في الدعوة[3].

يعتقد علي الشّابّي أن الشيخ عرفة وبعض من أسرته من تولّوا رئاسة الشّابّية قد ألّفوا كتبا في الكلام والفقه والتصوف كمراجع أساسية لمريدي الطريقة الشّابّية وتعلم أصولها، غير أن الوقائع التي أعقبت سقوط الإمارة عام (964هـ/1557م) أدت إلى تشردهم ونهب دورهم من طرف القرويين وسكان الضواحي، وطالت عمليات النهب المكتبة الشّابّية التي تضم مؤلفات أقطاب الشّابّية منذ نشأتها. ومما بقي من مؤلفات الشيخ عرفة كتاب صغير في شكل رسالة متداول على الألسن، حيث ألف محمد المسعود الشّابّي بين أجزاء الرسالة من جديد وسماها "الدر الفائق في علم الطريقة والإشارات إلى الحقائق"، وتضم رسالة الشيخ عرفة أصول الطريقة الشّابّية والحقائق التي يمكن الوصول إليها عن طريقها، وقد تم نسخها من طرف الشيخ أحمد بن بورقعة الشابي في شهر شعبان 1320هـ/1902م في ستّ عشرة صفحة[4]. ويعتبر الشيخ عرفة من أوائل شيوخ الشابية الذين كانت لهم علاقات تواصل مع سكان سوف عن طريق قبيلة طرود كما سنشاهده في بداية الفصل الثاني.

-محمد المسعود الشّابّي:

هو المسعود بن محمد الشّابّي بن عبد اللطيف بن أبي المكرم (بكر) بن أحمد بن

1-شارل مونشيكور: مرجع سابق، ص ص52-54.

2-علي الشّابّي: **عرفة الشّابّي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص 38. وشارل مونشيكور: مرجع سابق، ص 113. ومحمد الضحاك الشّابّي وعبد الله الشّابّي: المرجع السابق.

3-نفسه، ص ص 38-39.

4-علي الشّابّي: المرجع السابق، ص ص57-59.

مخلوف[1] ويوجد اختلاف في نسبه، حيث يذكر شارل مونشيكور نسبه على النحو التالي: محمد المسعود بن محمد بنور بن عبد اللطيف بن أبي الكرم بن أحمد بن مخلوف[2]. ويذكر أيضا إبراهيم العوامر من خلال وثيقة قدمها له أحمد الأمين بن محمد الشّابّي الذي يتصل نسبه بالمسعود الشّابّي، فكانت سلسلة نسبه كما يلي: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عمار بن رمضان بن بورقعة بن بنجدو بن أحمد بن علي بن المسعود بن محمد بن عبد اللطيف بن أبي الكرم بن محمد بن أحمد بن مخلوف[3] ... بينما نجد في شجرة نسب الشّابّية على النحو التالي: محمد المسعود الشّابّي بن محمد بنور بن عبد اللطيف بن أبي الكرم (أو أبو بكر) بن أحمد بن مخلوف[4].

قد يكون النسب الأخير هو الأرجح، نظرا للقيام بعدة تحقيقات من طرف أهل الاختصاص، بعد اطلاعهم على أهم الوثائق والمصادر والمراجع.

وهو ثالث حفيد لابن مخلوف[5] وثامن شيخ للطريقة الشّابّية[6]، بينما يعتبره عبد الباقي مفتاح سادس شيخ للطريقة الشّابّية. ولد محمد المسعود سنة (970هـ/1562م) بمدينة توزر عقب سقوط الإمارة الشّابّية بعد انتقال أسرته لهاته المدينة. فحفظ القرآن الكريم، وتعلم على عدة شيوخ من أبرزهم العلامة محمد التواتي، بينما أخذ التربية الروحية عن ابن عمه الشيخ بدر الدين الشّابّي والشيخ عبد الحفيظ[7].

كان محمد المسعود يتنقل من الجنوب الغربي التونسي إلى المناطق الجزائرية المجاورة، حيث أقام مدة في جبل ششار بالأوراس سنة (999هـ/1590م)، ثم سافر إلى

1-محمد بن محمد بن عمر العدواني: مصدر سابق، ص ص 110-111.

2-شارل مونشيكور: مرجع سابق، ص 113.

3-إبراهيم محمد الساسي العوامر: مرجع سابق، ص 241.

4-محمد الضحاك الشّابّي وعبد الله الشّابّي: مرجع سابق.

5-علي الشابي: **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية**، ص 62.

6-محمد لخضر بوبكر: مرجع سابق، ص 59.

7-عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الطريقة الشابية الشاذلية وتطورها وشيوخها في المغرب والمشرق**، دار نينوى، دمشق، 2016، ص ص 279-280.

الحج سنة (1003هـ/1594م)، وأثناء مروره بالقاهرة، تحصل على إجازة من أحد علماء الأزهر، ولما عاد من الحج باشر دعوته لطريقته الصوفية في مناطق إقامته. وفي سنة (1015هـ/1606م) أقام بوادي سوف بين طرود الذين كانت لهم علاقة مع الشيخ عرفة الشّابّي، من أجل وعظهم وإرشادهم وإصلاح مجتمعهم (حيث كان له تأثير ديني وروحي قوي) كما سنلاحظ في الفصل الموالي[1]، ليستقر بعدها بجبل ششار ويقيم به زاويته لنشر دعوته وطريقته بمساعدة أتباعه ومريديه، ومن أبرزهم الشيخ علي درباز[2].

وظل محمد المسعود وابنه علي يترددان على بلاد سوف في الفترة ما بين (1021هـ/1612م) و(1028هـ/1618م) وذلك من أجل مواصلة دعوته ومتابعتها[3].

ومن أبرز الآثار التي تركها محمد المسعود والتي مازالت شاهدة إلى غاية اليوم هما المسجدان اللذان أسسهما بالوادي وقمار سنة 1597م[4]. ويبقى هذا التاريخ فيه اختلاف بين المؤرخين والكُتاب.

ولقد تتلمذ على يديه تلاميذ كثر ومن مختلف المناطق من بينهم: عبد الرحمان التكّرتي من تكّرت، بوادي ريغ، وأبو الفضل البابارى من بابار (خنشلة)، وناجي الهّمامي، ومن الذين أصبحوا صوفية وعلماء بارزين ودعاة: الشيخ عمر بن عبد الجواد العكرمي دفين زاويته بقفصة، والشيخ بلقاسم بن منصّر الهمّامي (ينسب إليه المقادمة بقصر قفصة)، والشيخ نصر العليمي والشيخ منصور الدّالي دفينا قفصة، والشيخ جاءبالله الوغيدي بن الطاهر دفين زاويته بتبسّة، والشيخ عبد الملك العنّابي، دفين ماونة بقسنطينة، والشيخ عون بسوف، والمقدّم الشيخ علي دربال[5].

1-علي الشابي: مرجع سابق، ص 62.

2-محمد لخضر بوبكر: مرجع سابق، ص 59.

3-علي الشابي: المرجع السابق، ص 62.

4-إبراهيم محمد الساسي العوامر: مرجع سابق، ص242.

5-عبد الباقي مفتاح: مرجع سابق، ص293.

أما أهم مؤلفاته التي بلغت ثمانية عشر كتابا، فقد شملت التاريخ والفقه والتصوف والتوحيد ضاع أغلبها ولم يبق منها إلا:-الفتح المنير في التعريف بطريقة الشّابّية وما ربوا به الفقير. -الدر الفائق في علم الطريقة والإشارات إلى الحقائق. -جزءان من المقرب المفيد في فرض العين والتوحيد الأول في التوحيد والثالث في فقه المعاملات. -الشرح المختصر الصغير (العبادات). -شرح العقيدة قطعة تتضمن 40 صفحة كتبها أحد تلاميذه في تيزقرارين سنة (999هـ/1590م) أثناء إقامته بها قبل حجه[1]. أما أهم الكتب المفقودة: - مطالع الأنوار ومواهب الأسرار في الخمسة أذكار. -رسالة في الكلام على الزيارة والزائر والمزار. -رسالة في تفسير كلمات صوفية. -شرح العقيدة الكبرى. -الشرح على المختصر الكبير. -مصباح الظلام الحالك في مذهب الإمام مالك.

لقد كان لمحمد المسعود عشرة أبناء وهم: علي (ت1074هـ/1663م)، أحمد الصغير، كنوز (ت1068هـ/1657م)، مبارك، محمد بنور، بدر الدين، الزفزاف، محمد الحسن، السنوسي وبلقاسم[2]، كما ينسب إليه علي درباز كأحد أبنائه[3].

-علي بن محمد المسعود الشّابّي:

هو علي بن محمد المسعود بن محمد بنور بن عبد اللطيف بن أبي الكرم بن أحمد بن مخلوف الشّابّي[4]. ولد سنة (1000هـ/1591م) بقرية تيزقرارين بمنطقة الأوراس بولاية خنشلة بالجزائر. انتقل أهله إلى هذه المنطقة من توزر بعد وفاة الشيخ محمد الزفزاف سنة (985هـ/1577م)، بنصيحة من هذا الأخير للتحصن بها وبقلعتها تخوفا من ملاحقة العثمانيين لهم[5].

1-علي الشابي: مرجع سابق، ص 63.

2-عبد الباقي مفتاح: المرجع نفسه، ص 294.

3-محمد الضحاك الشّابّي وعبد الله الشّابّي: مرجع سابق.

4-محمد لخضر بوبكر: مرجع السابق، ص 60. ومحمد الضحاك الشّابّي وعبد الله الشّابّي: المرجع السابق.

5-علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص 388.

حفظ القرآن الكريم بقرية الزاوية التي تبعد عن قريته (14كم)، وقد تعلم على شيوخه، والده محمد المسعود، الشيخ ابن الأزرق والشيخ المبارك بن قاسم بن ناجي ... مما أهله ذلك فيما بعد لتولي مشيخة الطريقة الشّابّية.

أصبح علي منذ صغره شاعرا فأُعجب بشعره والده وشيخه المبارك بن قاسم[1]، لهذا كان والده محمد المسعود يستدل بأقواله النثرية والشعرية، كما كان فقيها وداعيا ومصلحا، فاتجه اتجاها روحيا خالصا[2] مثل والده الذي كان ينوبه عندما يتنقل محمد المسعود لعمله الدعوي، كما كان يرافقه في بعض الزيارات الدعوية من أجل التعليم والإرشاد والإفتاء والإصلاح بين الناس. وقد نجحا في ذلك نجاحا كبيرا، واستطاع الدّاعيتان تكوين تلاميذ ودعاة في مواطن كثيرة من خلال الزاوية سواء في المناطق التونسية أو الجزائرية: في قفصة، وتبسّة، وعنابة، وسوف، وتستور، وتبرسق وورغة[3]...

تولى علي مقاليد الطريقة الشّابّية بعد وفاة والده سنة (1028هـ/1618م) في ظروف مضطربة بين قوى داخلية وخارجية، وانتشار الفساد وتراجع الأخلاق والقيم بين الناس، وأصبح طلاب العلم يستهويهم حب المناصب والحرص على الوظائف ولو كان ذلك على حساب كرامتهم؛ أما العلماء "فقد تمكن حب الدنيا من قلوبهم، وتكبروا بما ليس عندهم، وارتكبوا المعاصي، وضيعوا الحقوق، وجعلوا ما علموه وسيلة للدنيا"، وأما مريدو الطرق الصوفية فقد "أثروا الجهل على العلم، والاغترار بكل ناعق، والتهاون في الأمور، والتعزز بالطريق (الصوفية)، واستعجال الفتح دون شرطه"[4].

في ظل هذه الظروف السياسية والثقافية البالغة التعقيد اهتدى علي الشّابّي إلى تطوير الزاوية والنهوض بها[5] من خلال تأسيسه لبيت الشريعة[6] سنة (1040هـ/1630م) بعد حجه

1-علي الشابي: مرجع سابق، ص 388.

2-علي الشابي: **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية**، ص ص 73-74.

3-علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص ص 390-395.

4-نفسه، ص 395.

5-نفسه، ص ص 396-397.

6-نفسه، ص 397. وعلي الشابي: **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية**، ص 73.

عام (1035هـ/1625م)؛ فأقام بها نظاما تعليميا جديدا مقسما إلى ثلاثة مستويات: ابتدائي وثانوي وعال، كما جعل الزاوية هي من تتنقل إلى مواطن القبائل، وبذلك خلق التميز بهذا النظام بين مختلف الزوايا الأخرى[1]، وتعوض جامعة الزيتونة في الأرياف ومناطق القبائل. وقام أولاد معمر من الهمامة والقبائل الحليفة على تمويل بيت الشريعة لأكثر من قرنين[2].

ولعبت بيت الشريعة دورا بارزا في الجوانب الدينية والثقافية والاجتماعية، وجمعت بين نشر العلم وإقامة حلقات الذكر والوعظ والإرشاد وإصلاح ذات البين، والفصل في القضايا الاجتماعية.

وظل علي الشّابّي شيخاً للطريقة ولبيت الشريعة إلى غاية وفاته سنة (1074هـ/1663م) ليتولى أمرهما ابنه الأكبر أحمد الصغير[3].

ومن ذرية عليّ: أحمد الصغير، والطيب، ومحمد زُوزُو وإبراهيم[4].

ومن مؤلفاته: مناقب محمد المسعود الشّابّي، وشرح الآجرومية، كما نظم الشعر[5].

-أحمد الصغير بن علي بن محمد المسعود الشّابّي:

هو أحمد الصغير بن علي بن محمد المسعود الشّابّي، الحفيد الخامس لابن مخلوف[6]، وأصبح الشيخ الثامن للطريقة، والثاني لبيت الشريعة التي أحكم نظامها التعليمي والقضائي، وحدد مواقيت تنقلها إلى القبائل انطلاقا من مقر الزاوية بششار، من أجل نشر العلم وتكوين المريدين[7].

وقد لعبت بيت الشريعة في عهده دورا اجتماعيا في التخفيف من حدة التوتر والتعصب القبلي، وأضعفت مناهضة الهمامة لطرود والنمامشة، بعدما كانت الحروب

1-علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص 397.

2-نفسه، ص 398.

3-نفسه، ص 402.

4-محمد الضحاك الشّابّي وعبد الله الشّابّي: مرجع سابق.

5-علي الشابي: المرجع السابق، ص 392.

6-محمد الضحاك الشّابّي وعبد الله الشّابّي: المرجع السابق.

7-عبد الباقي مفتاح: مرجع سابق، ص 311.

مستمرة بينهم، وأصبح الشيخ أحمد الصغير مرجعا لهم في كل ما يحدث بينهم. كما كان الشيخ كثير التنقل ببيت الشريعة إلى مناطق القبائل، فزار فم الخنقة قرب تمغزة[1] سنة (1074هـ/1663م)، وورغة[2] سنة (1086هـ/1675م)، وسوف (1089هـ/1678م)، ومرجة الزراريس[3] سنة (1101هـ/1690م) وجهة تبسّة سنة (1102هـ/1691م) ومناطق الهمامة[4].

وأثناء الصراع على الحكم بعد وفاة حاكم تونس مراد الثاني بن حمودة باشا سنة (1086هـ/1675م) بين الأخوين المراديين محمد باي وعلي باي، ساند الشيخ أحمد الصغير الحاكم محمد باي، ودعا أتباعه وحلفاء الشّابّية لنصرته، ولما تغلب محمد باي على أخيه علي باي، قربهم إليه، وجعلهم ممثلين له في منطقة الصحراء الجنوبية وما جاورها.

وقد ألف الشيخ أحمد الصغير كتابا في الفقه سمّاه "مفيد الفقير في اختصار المختصر الصغير" وهو اختصار لكتاب جده محمد المسعود "المختصر الصغير".

استمر الشيخ أحمد الصغير على رأس مشيخة الطريقة وبيت الشريعة إلى سنة (1103هـ/1691م)، وقد خلف بعد وفاته ستة أبناء: محمد بنجدو، وعبد الله (ت1155هـ/1742م)، وبلقاسم (ت1163هـ/1750م)، وحامد، ومحمد وجمال. وتولى أمور الطريقة وبيت الشريعة ابنه الأكبر محمد بنجدو[5].

ويعتبر هؤلاء من أبرز شيوخ الشّابّية الذين جمعت بينهم علاقات مع بلاد سوف من خلال دورهم في الجانبين الديني والاجتماعي. واستمر التواصل الشّابّي السوفي مع الشيوخ الذين جاءوا من بعدهم أمثال: المشري بن بنجدو بن أحمد الصغير (ت1143هـ/1730م)،

1-**تمغزة:** مدينة تونسية تابعة لولاية توزر تقع على الحدود التونسية الجزائرية. انظر: علي الشابي: مرجع سابق، ص 455. وموقع Google Earth.

2-**ورغة:** مدينة تونسية تابعة لولاية الكاف تقع على الحدود التونسية الجزائرية، وقريبة من مدينة ساقية سيدي يوسف. انظر: علي الشابي: المرجع السابق، ص 455. وموقع Google Earth.

3-**مرجه الزراريس:** هي منطقة تقع بجومين غرب ولاية الكاف التونسية. انظر: موقع تورس www.turess.com/attounissia، 08:40، 2018/04/05. وموقع Google Earth.

4-تتمركز في وسط تونس، ما بين مدن الرقاب وسيدي بوزيد وقفصة. انظر: علي الشابي: مرجع سابق، ص 455.

5-عبد الباقي مفتاح: مرجع سابق، ص ص 311-314.

وبورقعة بن محمد بنجدو (ت1188هـ/1774م) (علاقته بقبيلة الأعشاش بسوف)، ورمضان بن بورقعة (ت1210هـ/1796م)(زيارته لقمار (1160هـ/1747م)، وسوف (1188هـ/1774)، توسطه لحل الخلاف بين الصيايدة وأولاد دراج ضد أولاد أحميد بقمار (1205هـ/1790م)، وامَحمد بن بورقعة الشّابّي (ت1241هـ/1825م)، وعمار بن رمضان (ت1276هـ/1860م)، وسعيد بن عمار (1249-1350هـ/1834-1931م). وسنشاهد علاقات التواصل وتطورها بين الطرفين مع أبرز أحداثها في الفصل الثاني.

4-انتقال الطريقة الشّابّية من القيروان إلى وادي سوف:

يعود التواصل الشّابّي السوفي إلى عهد الشيخ عرفة الشّابّي (878-949هـ/1473-1542م) أي مع بدايات الربع الثاني للقرن (10هـ/16م)، من طرف قبيلة طرود، حيث كان بعض أفرادها يتنقلون إلى القيروان بغية زيارة أصدقائهم ومعارفهم من جهة، واقتناء السلع من جهة أخرى. وكانت قوافلهم محمية برجال مسلحين خوفا من قطاع الطرق، وأثناء لقائهم بالشيخ عرفة حدثت معرفة بينهم، واستخبرهم عن قومهم وقوتهم، وذلك استعدادا للمواجهة المحتملة مع الوالي (السلطان الحسن الحفصي)، فمنحهم الشيخ عرفة هدايا واتفق معهم على أن يكونوا سندا له ضد الوالي في حال القيام عليه، مقابل حصول رؤسائهم على مرتبات وعامتهم على ما يحتاجونه، فقبلت طرود بذلك[1].

ولما اقترب موعد الحرب، أرسل الشّابّي إلى طرود يستنفرهم للقيام على الوالي فأتوه بخمسمائة فارس[2] فوجدوه نازلا على عبيدة، وهي قرية تقع قرب الكاف بتونس[3]، ففرح ورحب بهم وقال لهم: "يا طرود من نصرتموه انتصر، ومن كسرتموه انكسر. قليلكم كثير

1-إبراهيم محمد الساسي العوامر: مرجع سابق، ص ص 227-228.

2-خمسمائة فرس وثمانمائة رجل. انظر: نفسه، ص 228.

3-محمد بن محمد بن عمر العدواني: مصدر سابق، ص 182.

وكثيركم لا حد له"[1].

ودارت المعركة بين الطرفين الحفصي والشابي، واستمر القتال إلى أن وصلوا إلى مكان يقال له السّلوقيّة[2]، فانهزم السلطان الحفصي، ومات من رجاله مائة وأربعة رجال أو مائة و أربعون رجلا؛ ومن الخيل ستون، ومن جهة الشابي، فقد مات اثنا عشر فارسا[3]. وبهذه الهزيمة انسحب السلطان الحفصي إلى سوسة، ليعيد بعد أيام الكرة على القيروان، ولكن لم يستطع دخولها، فأمر الشّابّي الأقوام باقتفاء أثره، فلحقوا به في فيافي الحاجب وتقاتل الطرفان، وكانت الخسائر كبيرة من كلا الفريقين[4]، وكان طرود أشد الناس قتالا. ثم كتب لهم الشّابّي "أنتم مني وأنا منكم، دم ولحم وعظم، إلى أن تقوم الساعة"[5].

ولما تأخر قوم الشّابّي عن المعركة، قال الطروديون لبعضهم بعضا: "أن العار في انهزامكم، حيث أن الرجل (أي الشّابّي) وثق بكم واستنجدكم من مكان بعيد للثبات والفوز، فالموت دون الرجوع" وحلفوا أن لا يتراجعوا إلا إذا كان النصر حليفهم، فهزموا جيوش السلطان ثم تتبعوا أثرهم يأخذون الغنائم والأُسَارى، ولم يستطيع جنود الشّابّي اللحاق بالمعركة، وحملت تلك الغنائم إلى الشّابّي فأعطى قسمة منها إلى طرود، والقسمة الباقية إلى جيوشه، فرفض طرود هذه القسمة[6]، وحدث خلاف بين الفريقين فقال طرود: أنت رجعت ونحن لم نأخذ أتعاب خيلنا لا منك ولا من صاحب إفريقية (السلطان الحفصي)، وقال لهم الشّابّي: ما عندي شيءٍ. قال طرود: نحن لا منك ولا منه، وإنما نحن أصحاب دراهم ودنانير، إما تعطينا وإلا نرجع عليك إلى صاحب إفريقية، نحن الذين قهرناه عليك. قال لهم:

1-إبراهيم محمد الساسي العوامر: مرجع سابق، ص 228.

2-**السّلوقيّة**: قرية تقع على بعد 70 كم جنوب غربي تونس على وادي مجردة. انظر: الموسوعة التونسية www.mawsouaa.tn/wiki، 10:00، 2018/04/12.

3-محمد بن محمد بن عمر العدواني: مصدر سابق، ص 181.

4-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 228.

5-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 181.

6-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص ص 228-229.

انصرفوا إليه إن شئتم. قالوا: والله لا خفنا منك ولا منه، نحن أهل خيل وإبل، ولسنا أهل بقر وغنم لأنها مال ذلً[1]. وانصرف طرود إلى سوف عازمين على عدم نصرته مرة أخرى[2].

وقد انعكس الخلاف الطرودي الشّابّي على العلاقات بينهما، حيث استغله الباي يوسف داي لكسب ود قبيلة طرود لصالحه ضد الشابي بإكرامهم وإغرائهم بالهدايا، مقابل إعانته على الشابي إذا حاربهم. ولما قامت المعركة أيام حمودة باشا (محمد بن مراد)، حارب معه طرود ضد عبد الصمد الشّابّي، وكان النصر حليف حمودة باشا، حيث مات من أهل سوف نحو مائة رجل، وكان ذلك سنة (1041هـ/1632م) حينما تولى حمودة باشا الحكم[3]. يبقى هذا التاريخ محل تحقيق وتثبت لأنه حسب المراجع، فإن عبد الصمد الشّابّي توفي سنة (1025هـ/1616م)، ولذلك فقد تكون هذه المعركة في عهد ابنه علي المتوفَّي سنة (1046هـ/1637م).

كانت هذه أولى العلاقات التي جمعت بين أهالي سوف (طرود) والشّابّية والتي تميزت بالتواصل الاجتماعي من جهة، والخلاف من جهة أخرى.

لكن رغم ذلك، بقيت العلاقات والتواصل مستمرة مع شيوخ الشّابّية وقبيلة طرود، وأتباع الطريقة في مختلف مناطق سوف[4].

وتوطدت العلاقات أكثر بين سوف والشّابّية في عهد محمد المسعود الشّابّي (970-1028هـ/1562-1618م) الذي كان يزور وادي سوف، وقد قام بإنشاء عدة مساجد بالوادي

1-محمد بن محمد بن عمر العدواني: مصدر سابق، ص 185.

2-إبراهيم محمد الساسي العوامر: مرجع سابق، ص 229.

3-نفسه، ص ص 233-237.

4-عبد الباقي مفتاح: مرجع سابق، ص 261.

وقمار، حملت أسمه[1] من أجل نشر دعوته[2] وإصلاح ما فسد وإرشاد الناس وتوعيتهم إلى الطريق الصواب[3]. فتنقل إلى قرى سوف انطلاقا من اللجة (الزقم)، فقرية تكسبت، إلى قرية غنام (كوينين) متجها بعدها إلى تغزوت وجلهمة، ثم قفل راجعا إلى اللجة (الزقم) مارا بكوينين، وبعدها نزل بحاسي خليفة الزناتي والزرق (تقع بين سوف وتبسّة)، وواصل مسيرته عبر قرية أفركان (واحة غير بعيدة من نقرين)[4] باتجاه الجريد[5]. كانت هذه التنقلات تمهيدا لنشر الطريقة الشّابّية بسوف[6]، وقد سرت دعوة الشّابّي بين الناس من بعده التي لاقت الرفض والنكران في بادئ الأمر، لتتقبل بقبول حسن بعد أن خلص أهل سوف من حمية الجاهلية والتعصب[7].

وكان علي يتنقل مع والده محمد المسعود الشّابّي إلى سوف[8]، وبعد وفاة محمد المسعود، زارها ليواصل نهج والده الدعوي والإصلاحي، فسلك نفس الطريق في تنقله من اللجة (الزقم) باتجاه تغزوت، ثم توجه نحو وادي ريغ[9].

لقد تمكن الشيخ محمد المسعود وابنه علي وأحفاده من بعده من نشر الطريقة الشّابّية بين سكان سوف بفضل العمل الدعوي ودوره الإصلاحي برضا الأهالي.

1-موسى بن موسى: **التغلغل الاستعماري بوادي سوف بين المقاومة والتأقلم 1854-1947**، أطروحة دكتوراة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إشراف: أحمد صاري، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2015، ص65.

2-محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص63.

3-إبراهيم مياسي: "**من تاريخ وادي سوف (مدينة الألف قبة)**"، الثقافة، ع 113، وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، 1996، ص 218.

4-محمد بن محمد بن عمر العدواني: مصدر سابق، ص ص 111-129.

5-إبراهيم محمد الساسي العوامر: مرجع سابق، ص 244.

6-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 125.

7-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 244.

8-انظر الملحق رقم: 11.

9-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص ص 130-132.

الفصل الثاني

المآثر الدينية والاجتماعية للطريقة الشابية بوادي سوف

1-الطريقة الشابية ما بين الدعوة وتجديدها للدين

2-الحياة الاجتماعية لأتباع الطريقة الشابية

3-المؤسسات الدينية للطريقة الشابية

4-الاستقرار الشابي

1-الطريقة الشّابّية ما بين الدعوة وتجديدها للدين:

يعتبر الشيخ عرفة الشابي من أكبر المتكلمين في عصره وأعظم مربّ عرفته افريقيّة في القرن 10هـ/16م، الذي كلف بتهذيب النفوس وتعليم العامة قبل الخاصّة، فكان يعلم مريديه من أبناء القبائل الإفريقية الذين وصل نفوذه إليهم، بهدف إحياء الضمير الديني وتحريك عنصر الإيمان في النفوس قصد معالجة الواقع والسيطرة عليه[1]. فكان ينشط ويتردد على مواطن أتباعه من الحنانشة وطرود، يرشد الناس إلى السلوك الإسلامي القويم، بعد انتشار الانحلال الأخلاقي في تل الحنانشة بسبب الاختلاط الذي كان منتشرا بين القبائل[2]. ولما كان طرود يترددون على القيروان للاتجار وزيارة معارفهم، دأبوا على زيارة الشيخ عرفة والاستماع إليه، مثل باقي القبائل التي كانت تزوره. ثم قام الشيخ عرفة بزيارتهم في مواطنهم بسوف وقام بإرشاد من لم يفد منهم إلى القيروان، كما عين لهم مقدّمين من ذويهم لتوجيههم وإعانتهم على العودة إلى حظيرة الإسلام من جديد[3]، وقد قال لما زارهم: "وجدتهم يفطرون رمضان وليس لهم من الإسلام إلا الاسم"[4]. وكانوا يرددون بعض الدعوات العادية مع جهل تام للمبادئ الإسلامية[5]. فحرص واجتهد على إرشادهم وتربيتهم، إلى أن أصبحوا يعرفون كلام الله وسنّة رسوله. وكلف تلميذه بنور الطرودي بتربيتهم ومتابعتهم، حيث كان الشيخ يقرب تلاميذه إليه[6]، وأقحم طرود لنشر دعوته[7].

وقد اعتبر الشيخ محمد المسعود الشابي في كتابه "الفتح المنير" نقلاً عن علي الشابي في كتابه أن أهمّ كرامة للشيخ عرفة، هي إرجاعه طرود والحنانشة إلى حظيرة الإسلام بعد

1-علي الشابي: **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص 54.

2-علي الشابي: **العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية**، ص 109.

3-سنشاهد ذلك مع الشيخ محمد المسعود أثناء دعوته كيف كان مجتمع وادي سوف لتفادي التكرار.

4-علي الشابي: **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص ص 76-77.

5-شارل مونشيكور: المرجع السابق، ص 54.

6-علي الشابي: المرجع السابق، ص 77.

7-محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص 106.

أن كان إسلامهم شكليّا لا غناء فيه[1]. وقد يعتبر هذا الوصف خاطئ، لأنه يدل على أن القبيلتين غير مسلمتين، مع أن الإسلام قد انتشر وتجذر في بلاد المغرب منذ عدة قرون.

ولكن يمكن القول أن الشيخ عرفة استطاع بالتعاون مع مريديه إعادة بعث وتجديد الدين الإسلامي بعد أن شهد تراجعا بين القبائل، خاصة في بلاد سوف، وذلك بفضل دعوته مع توظيف الدور الديني الروحي من خلال الجانب الصوفي المتمثل في الطريقة الشّابّية.

كما كان أبو الطيب الشابي (أخو عرفة) يتردد على سوف لنشر الطريقة وإرشاد الناس إلى الدين الإسلامي، فينزل بشمال شرق قمار (البلدة القديمة) تحديدا في المكان الذي تتواجد به المزارة[2] التي يطلق عليها مزارة سيدي الطيب أو سي الطيب، نسبة له حسبما يعتقد (سنتطرق لها لاحقا)، حيث كان يستقبل من طرف الأعيان والأهالي ومن نفس المكان يتم توديعه[3].

وقد استمر توافد شيوخ الشابية على سوف في نهاية القرن 16م وبداية القرن 17م. ففي سنة (1011هـ/1602م) أقام الشيخ محمد المسعود مدة في مناطق سوف، التي كان لها ارتباط روحي بالشّابّية من خلال الشيخ عرفة[4]، قادما من منطقة الجريد التونسية صحبة ابنه علي من أجل المساهمة في الدعوة والتعليم، وذلك لما سَمِعَ محمد المسعود أن البالغين من قوم سوف يلعبون لعبة الشاة[5] وهم عراة في النهار، ويفطرون رمضان، فقدِم إليهم بجواده فوجدهم ضعيفي الإيمان وتراجع الإسلام بينهم، ولم يَقُم أي عالم بدعوتهم وإيقاظهم من

1-علي الشابي: المرجع السابق، ص 161.

2-أنظر الملحق رقم: 09. والملحق رقم 15.

3-لقاء مع الأستاذ محمد ماني بن عمار (باحث في التاريخ المحلي)، بمنزله بقمار، 19:50، 2018/04/21.

4-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص 282.

5-لعبة الشاة يمثلها فرد في دور الشاة، وفرد في دور الكلب المدافع عنها، ضد مجموعة من الذئاب تريد التهامها. وهي لعبة فيها أصوات وحركات قوية تأخذ في التصاعد وتنتهي بتغلب الكلب على الذئاب وإنقاذ الشاة.أنظر: محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 110.

غفلتهم[1]، إلا أن زيارة العياشي خلال القرن 17م لسوف لم تفصح عن هذا الانحلال والإبتعاد عن الدين، بل يذكر في رحلته لسوف عند نزوله بالعلندا[2] عن استعمال واحتياج الماء للوضوء والشرب، حيث قال: "فكان الماء سبب إقامة الناس، وهم لا يجدونه للوضوء والشرب إلا ما في القِرب معد للمراحل التي بعدها ..."[3]، وهنا كلمة الوضوء دلالة على الطهارة، وإقامة الصلاة، والإيمان بالله تعالى وتوحيده. مما يفند قول العدواني الذي وصف مجتمع وادي سوف بـــ "لا مؤمنين ولا كافرين"[4]. بينما يذكر إبراهيم العوامر في كتابه أن الشيخ محمد المسعود لما سمع[5] بأن أهل سوف يتدينون بكل ما رأوه أو سمعوه عزم على الذهاب إليهم[6]، من أجل نشر تعاليم الإسلام التي كادت أن تفقد تماما عند سكانها[7].

لقد صور العدواني مجتمع وادي سوف في تلك الفترة أنه وصل إلى قمة الانحطاط الأخلاقي الشبيه بعصر الجاهلية في شبه الجزيرة العربية عندما كان العرب يطوفون بالكعبة وهم عراة، بالرغم من أن الإسلام قد استقر في شمال إفريقيا منذ أزيد من تسعة قرون. فقد تكون هذه الحادثة حالة شاذة لا تمثل كافة المجتمع، ونفس الشيء بالنسبة لإفطار رمضان، وهذا راجع لضعف الإيمان وتراجع للإسلام بين الناس. كما أن العياشي في رحلته والذي عاصر أحداث هذا القرن لم يذكر هذه الحالات في كتابه. وفي الجهة المقابلة نرى إبراهيم العوامر يقول أن مجتمع وادي سوف لديه القابلية في التدين من أي طرف كان، مما يدل أن المجتمع به الأخيار المتشوقون للتعاليم الإسلامية.

1-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 110.

2-**العلندا:** هي قرية تقع غرب وادي سوف، وتسمى حاليا وادي العلنده.

3-عبد الله بن محمد العياشي: المصدر السابق، ص 123.

4-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 110.

5-لم يذكر العدواني وإبراهيم العوامر من أخبر محمد المسعود؟، وكيف؟ ومن أين سمع؟ عن حالة مجتمع وادي سوف. قد يكون من خلال الكلام المتداول بين الناس.

6-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 242.

7-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص 283.

كان أول نزول للشيخ المسعود بسوف باللجة (الزقم قديما) ومنها انطلقت دعوته، وحينما التقى بالشيخ أحمد بن عبد العزيز اللجي[1]، فاستضافه لمدة ثلاثة أيام، ثم بعدها طلب من الشيخ أحمد أن يجد له رجلا عاقلا يدله على معرفة الله وتوحيده ويدخل في دين الإسلام[2]، (والأصح يدله ويعلمه التعاليم الإسلامية، لأن وصفه هذا يدل على أن الرجل كان كافرا). واعلمه وينقل عني ويعلم غيره[3]. ورد عليه الشيخ أحمد قائلاً: أني حاولت معهم ولم يقبلوا مني قولا ولا عرفوا شيئاً وظلوا يسخرون مني. فقال له الشيخ محمد المسعود: أني رأيت في المنام الشيخ عرفة الشابي يقول لي: انطلق إلى ناحية القبلة، فإن فيها أمة لا يعرفون ربًا ولا نبيًا دلهم على طريق الهدى يسلموا على يديك، فبعث الشيخ أحمد عبدهُ بَاللّيل[4] إلى رجل يقال له عون بن موسى اللجي[5]، فأتى إلى الشيخ محمد المسعود ولقنه الشهادتين، فأسلم عون إسلامًا كاملاً وعلمه سورة الفاتحة، وما أن مرت سبعة أيام، حتى أسلم على يديه ثلاثة وعشرون رجلاً منهم: عون بن موسى، باللّيل خادم الشيخ أحمد، سالم ابن عمارة، جابر بن سالم، الخازن بن زكريا، يحي بن عمر، مبارك بن علي ... وعلمهم الفاتحة وجعلوا على رقابهم خراجًا كل عام[6].

1-**أحمد بن عبد العزيز اللجي**: وهو شيخ عارف بالله، كثير الفكر والذكر والتدبر، محب لتلاوة كتاب الله تعالى ليلا ونهارا، ويدعو قومه كلما سنحت الفرصة رغم معارضتهم الشديدة له. أنظر: علي غنابزية: "**الحركة العلمية بوادي سوف منذ القرن السادس الهجري وآثارها الفكرية المدونة**"، ضمن كتاب وادي سوف (دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة)، الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد يجور بقمار، مزوار للطباعة والنشر، ط01، الوادي الجزائر، 2008، ص 92. ويذكره إبراهيم محمد الساسي العوامر في كتابه في الصفحة 243 بـــ "**أحمد عزيز**".

2-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدرالسابق، ص 111.

3-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 243.

4-**بَاللّيل**: هو سعد الكبير بن عمر بن نصر العدواني. انظر: محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 130.

5-**عون بن موسى اللجي**: يعتبر من تلاميذ الشيخ محمد المسعود الشابي عندما نزل الشيخ باللجة (الزقم)، حيث كان كثير المجالسة له خلال إقامة الشيخ مع أحمد بن عبد العزيز اللجي. انظر: الطيب بوسعد: "**أوضاع منطقة وادي سوف خلال عصر الشيخ محمد العدواني من خلال كتابه (سياسيا، اجتماعيا، ثقافيا ودينيا)**"، الندوة الفكرية للشيخ العدواني، 12، الجمعية الثقافية الولائية للشهيد عمر عزوز بالزقم، الوادي الجزائر، 30-10/31 و 2010/11/01، ص 106.

6-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص ص 111-112.

ثم توجه بعد ذلك صوب قرية تكسبت، ونزل عندهم يدعوهم إلى الإسلام، فكان رد أهل القرية الرفض والطرد والتهديد والسخرية منه، ثم استضافه العش بن عمر بن سليمان بن محمد اليربوعي[1]، ويعتذر منه عما صدر من رجال القرية[2]، وصار من معاونيه في نشاطه الإصلاحي والدعوي، وشكلت بذلك بلاد سوف مركزا لنشاط وتحركات الشيخ محمد المسعود[3]، ودعا للعش ولأبنائه بالحظ العظيم[4]، وقال له سوف أبعث لك ابني علي فإنه أهل للولاية، فقد يكون هذا آخر قدوم إليكم ثم ارتحل، بعد أن مكث سبعة أيام يدعوهم، ولم يجد في القرية من يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم إلا العش وأولاده[5]. بينما يذكر إبراهيم العوامر أن الشيخ محمد المسعود بقي مدة يعلم الناس ودعاهم إلى بناء مسجد فبنوه بعد انتقاله (المعروف حاليا بجامع سيدي المسعود بالسوق)[6].

من قرية تكسبت، توجه الشيخ محمد المسعود شمالاً إلى قرية غنّام يدعو أهلها إلى توحيد الله واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، فتصدى له رئيس القرية غنّام بن مبارك بن فارح، وقال له: أخرج من عندنا، فإنك رجل كبير، وإلا سفكنا دمك، فمكث ساعة أو ساعتين حتى أحس بالجوع وخرج من القرية ونزل ببئر هناك ليتوضّأ[7]، وكان العش قد خشي عليه من أهل الهنشير (قرية غنّام) لمعاملتهم الشديدة، فأعطى تمرًا وخبزًا ومرقًا لابنه خليفة وأمره بإعطائه إلى الشيخ محمد المسعود، فلما قدم له ذلك قال: اللهم أشبعه مالاً وولدًا وأعطه الحظ

1-**العش بن عمر بن سليمان بن محمد اليربوعي:** وهو يسكن قرب تكسبت ومن الرجال الأوائل الذين استقبلوا ورحبوا بالشيخ محمد المسعود وعاونوه على حمل الدعوة ونشر العلم، كما كان له دور في اقامة المسجد، الذي مازال لحد اليوم باسم الشيخ. أنظر: الطيب بوسعد: المرجع السابق، ص 107.

2-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص ص 114-115.

3-أحمد بن الطاهر منصوري: **الدر المرصوف في تاريخ سوف**، الحفيد، د ط، الوادي الجزائر، د ت، ج01، ص 17.

4-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 243.

5-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 123.

6-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 244.

7-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 123.

الأوفر[1]، واجعل اللهم غنّام بن مبارك يحتاج إلى العش، واجعله اللهم وارثًا ماله من غير لا حول منه ولا قوة[2].

ولما قصد الشيخ محمد المسعود الارتحال نحو تغزوت أُعْجب عبدهُ واد[3] (واده) باتساع المنطقة وجريان وادها وهي مستقر للسكن فقال له محمد المسعود: أسكن الواد واجعل فيه كانونًا يأتيك الرجال والنساء، وكذلك غنّام، فهمَّ بفعل ذلك فقال له الشيخ: حتى نبلغ تغزوت[4].

ولما نزل تغزوت أكرمه محجوب (أو محبوب) وعمران[5] التغزوتيان[6]، وبات عندهما في عريشهم (سكنهما) حتى الصباح، وكان الرجلان يتلوان القرآن بعريشهما خوفا من أهل جلهمة[7]، وأخذ الشيخ يعلم الناس أمور دينهم ودنياهم[8]. ولما ارتحل إلى قرية جلهمة[9] التي كانت قبل ذلك على الدين النصراني، ووجدهم يلعبون لعبة الشاة، دليل على الفساد الأخلاقي، وكان ذلك تمهيدا لنشر الطريقة الشّابّية عندهم[10].

1-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 244.

2-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 124.

3- **واد** أو **واده:** هو أحمد بن واده، دفين بمقبرة كوينين الشرقية من الناحية الشمالية، وضريحه محاط بجدار من الجبس. لقاء مع بشير أحمدي: باحث في التاريخ المحلي، بمنزل صهره، قمار، 17:30، 2018/04/22. (من مواليد 1929م). أنظر: الملحق رقم: 10. والملحق رقم: 13.

4-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 124.

5-**محجوب** و **عمران:** من قرية تغزوت كانا سندا وعونا للشيخ محمد المسعود في دعوته بمساعدة الشيخ عباس الغريب. أنظر: الطيب بوسعد: المرجع السابق، ص 107.

6-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 244.

7-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 125.

8-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 244.

9-**قرية جلهمة:** يعتقد بين قمار وتغزوت غرب التجمع السكاني، وقد تكون جلهمة بداية لعمران المنطقتين في الماضي. انظر: عبد العزيز حسونة: **النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة وادي سوف من القرن العاشر إلى الثالث عشر الهجري القرن السادس عشر إلى التاسع عشر الميلادي دراسة أثرية ومعمارية**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: علي حملاوي و شريفة طيان، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2009-2010، ص ص 35-42.

10-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 125.

ولما أراد الشيخ محمد المسعود دعوتهم إلى الطريق الرباني قال له الشيخ عباس الغريب[1]: قد عالجتهم أشد المعالجة ولم ينفع معهم ذلك، فحاول الشيخ محمد المسعود معالجتهم وطلب منهم الدخول إلى الإسلام، فأبوا وكادوا يضربونه، فرجع خائفا منهم. ولما أُصيب أهل جلهمة بوباء، خرجوا من قريتهم ونزلوا عريش تغزوت، وذلك بفضل دعوة الشيخ محمد المسعود التي طلبها الرجلان (من تغزوت) منه بأن ينتقل سكان جلهمة إلى تغزوت وتسمى باسمها والتي منها عمرت[2].

من تغزوت قَفِلَ الشيخ محمد المسعود راجعا إلى أهله بالجريد فمر بقرية كوينين[3] التي تأسست بنصيحة منه سنة 1590م[4] (حسب بعض الروايات)، حيث أمر أحد عشر رجلاً مع أحمد بن واده ببناء كانون[5]، فبنوا ذلك، وأقيم الرجال معه، وأتاه الناس، ومنها عمرت، وسميت كانون نار حامية، عَلَمٌ على معنى الفتن[6]، وذلك انطلاقا من عمارة الهنشيرين الشرقي والغربي وقرية غنّام التي تُكون بلدة كوينين[7]، وهذا راجع لنشاط الشيخ محمد المسعود العلمي والدعوي[8]، بعد أن تصدى له غنّام بن مبارك بن فارح كما ذكرنا سابقا.

ولما وصل الشيخ محمد المسعود إلى اللجة (الزقم)، طلب من الشيخ أحمد بن عبد العزيز رجلاً يكون له دليل في الطريق فأعطاه عبده بَاللّيل، لينطلقا في مسيرتهما نحو حاسي

1-**عباس الغريب:** من أهل تغزوت الذي عرف بالصلاح وتعليم القرآن الكريم كان له فضل كبير في دعوة أهل سوف إلى طريق الحق، الذين كانوا في غفلة معرضين، فأقبل بعضهم على تعلم القرآن وإتباعه. أنظر: علي غنابزية: "**الحركة العلمية بوادي سوف منذ القرن السادس الهجري وآثارها الفكرية المدونة**"، ص 93.

2-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 126.

3-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 127.

4 -André-Roger VOISIN: **Le Souf Monographi**e, R: Ali ABID, El-Walid, El-Oued, 2004, P 89.

5-أنظر الملحق رقم: 10. والملحق رقم: 13.

6-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 127.

7-لطيفة عريق: **الطابع السكاني والتغيير الاجتماعي في بلدية كوينين 842-1420هـ/1440-2000م دراسة تاريخية اثنوغرافية**، مديرية الثقافة، ط01، الوادي، 2014، ص09.

8-الطيب بوسعد: المرجع السابق، ص 107.

خليفة الزناتي مارين بقبر العريش (أو العويش) الخامسي، فالزرق[1]، فقرية أفركان ثم وجدوا زاوية بمجّور[2] منها إلى الجريد التونسي[3]، كان هذا مسار رحلة الشيخ محمد المسعود الدعوية بين منطقة الجريد التونسية وبلاد سوف[4]، حيث سرت دعوته في الناس من بعده[5]، وكان ذلك بفضل العلماء والأولياء الصالحين والأتباع الذين شدوا أزر الشيخ في دعوته واحتضنوا أفكاره التي خدموا بها المجتمع، وقد تم ذكرهم والتعريف بهم سابقا.

وبقي الشيخ محمد المسعود يتردد على سوف، يتنقل بين الدبيلة وغمرة والدميثة فأراح الله به أهل سوف من حمية الجاهلية، وتعصب المتعصبين، وكان ذلك خلال الفترة الممتدة ما بين (1202-1050هـ/1612-1641م)[6]. وقد يكون إبراهيم العوامر يقصد بهذه الفترة الزمنية فترة زيارة الشيخ محمد المسعود وابنه علي من بعده، لأن الشيخ محمد المسعود توفي سنة (1028هـ/1618م).

ولما كان الشيخ محمد المسعود عائدا إلى أهله، التقى بابنه علي بحاسي خليفة الزناتي، وأمره بالقدوم إلى سوف[7] من أجل مواصلة نشر الدعوة وتثبيتها[8]، وقال له أن ورائي قومًا يلعبون الشاة ... فانطلق علي قاصدا سوف ومعه بَاللّيل، فسلك نفس مسار[9] والده فنزل باللجة (الزقم) فاستقبلوه وقاموا بضيافته، والتقى بالشيخ أحمد بن عبد العزيز، ثم توجه نحو تكسبت،

1-**الزُرْق**: سيوف الزرق بين سوف وتبسّة. أنظر: محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص 129.

2-**مجّور**: قرب قرية تمغزة (حيث مكان الزاوية). أنظر: علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص394. و**مجّور**: منطقة في أقصى الشمال الشرقي من سوف تعرف بالمجوري لقربها من جبل مجّور بنقرين. أنظر: عبد العزيز حسونة: المرجع السابق، ص 30.

3-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص ص127-129.

4-أنظر الملحق رقم: 11.

5-أحمد بن الطاهر منصوري: المرجع السابق، ص 17.

6-إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 244.

7-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص ص127-129.

8-علي الشابي: المرجع السابق، ص394.

9-أنظر الملحق رقم: 11.

واستقبله العش ودعا أهل تكسبت إلى الدخول في ملة النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى إصلاح أحوالهم وكانت الاستجابة بإسلام جميع الحضور، ثم نزل بقرية غنّام ودلهم على طريق الحق، فمنهم من أسلم ومنهم من أبى. ثم أتى إلى كانون واده (كوينين) فأسلموا كلهم، ثم اتجه إلى عريش تغزوت فاستقبله عباس الغريب وتلاميذه وقدموه للأهالي لإرشادهم فمنهم من أسلم ومنهم من أبى، ثم ارتحل قاصدا وادي ريغ[1].

وبقي علي الشابي بعد وفاة والده يتردد على سوف حسب الفترة الزمنية التي حددها إبراهيم العوامر التي ذكرناها سابقا.

ورغم التحديات التي تلقاها الشيخ محمد المسعود لنشر دعوته وطريقته من الرفض والسخرية والتهديد بالقتل ... إلا أنه استطاع بفضل إرادته وإصراره المتكرر القضاء على الانحلال الأخلاقي والجهل، كما مهد الطريق لابنه علي ليسلك نهجه في الدعوة، ومازال أهل سوف يشيدون بما قَدّم الداعيتان من نشر للإسلام وإخراج سكانها من الظلمات إلى النور، ووصلت درجة المحبة لهما بين الأهالي إلى التبرك بموضع أقدام فرس الشيخ محمد المسعود المحفورة في الأرض، هذا ما نقله علي الشابي من كتاب منشور الهداية لصاحبه عبد الكريم الفكون[1]. لكن هذا الأخير نسبها لرجل يقال له علي العابد الشابي، وفي نفس هذا الكتاب يذكر محققه أبو القاسم سعد الله في الهامش "أن هذه الفكرة كانت منتشرة في بلدتنا قمار وكان الناس ينعتون لنا حفرًا في الأرض على أنها أقدام فرس الشابي، وهم يتبركون بها ويحافظون عليها"[2]. وحسب الروايات المحلية المتداولة، فإنها منسوبة إلى عمار بن رمضان بن بورقعة الشابي (ت1276هـ/1860م) بقرية غمرة بقمار.

---

[1] -محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص ص129-132.

1-علي الشابي: المرجع السابق، ص ص 393-394.

2-عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط 01، بيروت، 1987، ص 168.

لقد اعتبر العدواني من خلال كتابه تاريخ العدواني، أن منطقة سوف في تلك الفترة، كانت أغلبها كافرة، وأن الشيخ محمد المسعود أتى لهم بالإسلام، بعد أن زارها وتردد عليها عدة مرات مع ابنه علي، وهذا يعتبر شيء من مبالغة، في وصف مجتمع وادي سوف بهذه الحالة، لأن الإسلام كان قد استقر بالمنطقة منذ عدة قرون، بل وصل حتى غرب إفريقيا، إنما يمكن اعتبار الشيخ محمد المسعود مع ابنه علي من المجددين للدين وإحيائه في قلوب الناس، بعد أن ابتعدوا عن التعاليم الإسلامية باتباعهم الشهوات وحب الدنيا.

ولما تولى الشيخ أحمد الصغير أمور الطريقة الشابية وبيت الشريعة، أخذ يتنقل بين القبائل، فزار قمار بسوف فبنى بها مسجد بيت الشريعة سنة (1085هـ/1674م) غرب قمار (البلدة القديمة)، بالقرب من المكان الذي كان يُنصب به خيمة بيت الشريعة، وسمي المسجد باسمها[1]. ثم زار سوف مرة أخرى متنقلا بمنشأة بيت الشريعة سنة (1089هـ/1678م)[2]، حيث كان يرشد الأهالي، ويقضي بينهم بالعدل والحسنى، فأصبح مرجعا لهم في كلّ ما يجدّ بينهم، كما ساهمت المنشأة في عهده بتخريج العلماء الذين كان لهم دور في هدي القبائل وإرشاد المريدين[3].

استمر شيوخ الشابية من أحفاد الشيخ محمد المسعود بالتوافد على سوف لنشر الطريقة وتثبيت الدعوة، من خلال العمل الإرشادي والدعوي الذي كانت تغطيه منشأة بيت الشريعة، كما كانت لهم إسهامات دعوية من طرف:

-المشري بن بنجدو بن أحمد الصغير (ت1143هـ/1730م) الذي كان يلقن تلاميذه فقه مالك والعقيدة الأشعرية وأصول الطريقة، بفضل رسالته الإرشادية والتثقفية[4].

1-لقاء مع الأستاذ محمد ماني بن عمار (باحث في التاريخ المحلي)، بمنزله بقمار، 19:50، 2018/04/21.

2-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص 312.

3-علي الشابي: المرجع السابق، ص ص 403-404.

4-نفسه، ص ص 405-406.

-رمضان بن بورقعة (ت1210هـ/1796م) الذي زار سوف سنة (1188هـ/1774م) حيث كان له نفوذ كبير في المنطقة[1]، كما زار قمار سنة (1160هـ/1747م) قبل توليه مشيخة الطريقة[2].

-عمار بن رمضان (ت1276هـ/1860م) الذي زار سوف وعُرف أهلُها بطاعته والامتثال لإرشاداته وتوجيهاته[3].

كما برز مقدّمون للطريقة الشابية في سوف خاصة في قمار حملوا لواء الطريقة وتمسكوا بها، فأصبحوا من المقربين لشيوخ الشابية لولائهم لهم، ذلك أنه لما توفي أحمد بن عمار بن رمضان الشابي، لم يوص لأحد من أسرته، فوقع تنافس عائلي على ترأس المشيخة فتدخل مقدّم الشيخ عمار المفضل خليفة بن عبد الله العماري القماري (بلدة قمار) فأوصى بتولية سعيد بن عمار (1249-1350هـ/1834-1931م)، وذلك سنة (1283هـ/1867م) بعد بضعة أشهر من وفاة الشيخ أحمد[4].

استطاعت الطريقة الشابية التغلغل في وسط مجتمع وادي سوف، خاصة في فترة الشيخ محمد المسعود الذي يرجع له الفضل في إعادة إحياء الدين بين الأهالي، بعد أن ضعف وتراجع والذي كاد أن ينطفئ نوره بسبب فساد العقيدة والانحلال الأخلاقي ليؤسس قواعد أساسية مرجعية، مهدت الطريق لأحفاده لمواصلة مسيرته على منهجه.

كما كانت لهم إسهامات في حل القضايا الاجتماعية كالنزاعات القبلية والخلافات المحلية والقيام بالأعمال الإنسانية بفضل ما تقدمه القبائل من تمويل ودعم مادي، مما ساعد من تغلغل الطريقة وتجذرها بين أفراد المجتمع ليزداد عدد أتباعها ومريديها ويتوسع نشاط عملها الذي انعكس على جميع فئات المجتمع.

1-علي الشابي: المرجع السابق، ص 412.

2-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص 321.

3-علي الشابي: المرجع السابق، ص 419.

4-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص 347.

2-الحياة الاجتماعية لأتباع الطريقة الشّابّية:

اشتملت العلاقات الاجتماعية الشابية السوفية العديد من الجوانب من حل الخلافات والصراعات القبلية إما بواسطة التقاضي أو التحكيم، إلى الوقوف والإشراف على الأعمال الإنسانية بتقديم المساعدات للفقراء والمساكين التي يقدمها الأهالي كوقف للطريقة أو كعادة متداولة، كل ذلك ساعد على تمتين الصلة الاجتماعية بين الطرفين.

وكانت الخلافات والصراعات منتشرة بين القبائل في تلك الفترة لأبسط الأمور، فوقع خلاف بين أولاد سعود بتغزوت وأحمد (حميدة) الشابي رئيس البادية التونسية وصل إلى حد الاقتتال، وذلك أن راعي أحمد الشابي، ويدعى عوف بن سارية بن بكير، هرب بعشرين ناقة إلى سوف، فبعث أحمد رسالة إلى أهل سوف والتي وصلت إلى بالضياف الطرودي يطالبه فيها باسترجاع نوقه، واختلفوا في رد الإبل من عدمه[1]، فاستشاروا الشيخ اسعود الذي كان بقرية جلهمة (تغزوت)، فقال لهم: "المؤمن لا يذل وله ركن شديد، لا تردُّ هذه الأبل وكلوها بأجمعكم، وأنا سيّدكم وأنتم أولادي". وبذلك تمت مبايعته من طرف القبائل وعرفُ (كذا) بأولاد اسعود. فأرسل الشابي جيشا لقتالهم، وحشد اسعود جيشه لملاقاته بعقر داره، والتقى الفريقان بموضع يقال له قرحان بقرب الجبل[2]، ولما اشتد القتال، تراجع الشابي وأعلن عن وقف القتال لما رأى من عدد القتلى، وقال لأولاد اسعود: "ارجعوا عنا فإنكم منصورون بدعوة رجل صالح ولا زلتم منصورين"[3]، وبذلك انهى أحمد الشابي القتال حقناً للدماء مقابل خسارته لنوقه.

لم يذكر العدواني تاريخ الحادثة، بينما يذكر الأستاذ موسى بن موسى في رسالة

1- محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص ص315-316

2- لم استطع تحديد موقعه.

3- نفسه، ص ص317-319.

الماجستير أنها في القرن (09هـ/15م)[1] نقلاً عن علي الشابي في مقاله المعنون بـ "مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية" الصادر في المجلة التاريخية المغربية، لكن صاحب المقال تطرق إلى المصادر التي تناولت الطريقة الشابية ومؤلفيها من الشابيين ابتداء من القرن التاسع الهجري إلى الرابع عشر الهجري. وقد يكون الأستاذ بن موسى نسبها لبداية هذه الفترة أو أن رئيس البادية أحمد الشابي هو نفسه أحمد بن مخلوف الشابي، مؤسس الطريقة الشابية خلال القرن (09هـ/15م).

كما أن الصراع القبلي بين طرود[2] وعدوان[3]، أحدث انقساما داخل منطقة سوف، واستمر هذا الصراع الذي كاد أن يقضي على مبادئ التعاليم الإسلامية المتعلقة بالأخوة والتسامح والتضامن ... إلى أن جاء الشيخ محمد المسعود ليرشد الناس ويصلح أمرهم[4]، حيث أنه ذات مرة لما هَمَّ بالمغادرة من اللجة (الزقم) نحو الجريد التونسي (هي نفس الرحلة السابقة بين سوف والجريد) طلب منه الأهالي الحماية من أولاد يعقوب ونسل اليزيد بن معاوية، بني علي وغيرهم تخوفا من الاعتداءات عليهم بأخذ سعيهم وقتل رجالهم، فبعث إليهم رجلا من فرقة أولاد بلحمرْ التابعة للجان (أو اللجة) يقال له: دُوَيْ ومعه مائة وأربعون نفرًا، وصاروا يحرسونهم من الأعداء صيفًا وخريفًا أو صيفًا وشتاء، بمكان قبر الفقد بن إبراهيم أو إبراهيم بن الفقد أو بني الفند بن إبراهيم[5].

1-موسى بن موسى: **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها 1900-1939**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: أحمد صاري، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص 56.

2-**طرود**: طرود بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أنظر: إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 337.

3-**عدوان**: عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أنظر: إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع نفسه، ص 337. **عدوان** و**طرود** من القبائل العربية التي أرسلها الفاطميون إلى بلاد المغرب في القرن 5هـ/11م للانتقام من الإمارات المستقلة فيه. أنظر: عبد العزيز حسونة: المرجع السابق، ص 30.

4-إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص216.

5-محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص ص127-128.

في هذا الموضع يظهر أن الشيخ محمد المسعود أصبحت له مكانة اجتماعية بين الأهالي فيلجؤون إليه لمساعدتهم، وفي كل ما استجد من حولهم، أو استعصت عليهم أمورهم الحياتية.

لقد عملت منشأة بيت الشريعة منذ ظهورها من طرف علي بن محمد المسعود الشابي سنة (1039هـ/1630م) خاصة في فترة ابنه أحمد الصغير على توعية وتثقيف وإرشاد المجتمع القبلي، فساهمت في توثيق العلاقات بين القبائل، فخفت حدة التوتر القبلي، وتراجعت الغارات المتبادلة، وقلت مناهضة الهمامة لطرود والنمامشة بعد حروب طاحنة بينهما، ليكون الشيخ أحمد الصغير هو الحكم في الفصل في القضايا الشائكة بين القبائل والرجوع إليه في كل ما يستجد بينهم، بفضل تأثيره الكبير على القبائل[1].

كما أثرت فتنة الأعشاش على تنقلات منشأة بيت الشريعة بين القبائل في فترة بورقعة بن محمد بنجدو (ت1188هـ/1774م) رغم العلاقات الوثيقة بين الجانبين، حيث هاجمت قبيلة الأعشاش ركب الحجيج الفاسي سنة (1162هـ/1750م) واستولوا عل ماله وخيله، فاستنجدت قافلة الحجيج بعلي باي ليتدخل هذا الأخير لإخضاعهم، فاستولى على ما عندهم وفروا إلى الخنقة، ثم أرسل ابنه سليمان إلى سوف فدخل قمار وفتك بهم، وقطع نخيل عمارة الزرقي المؤيد لأبناء حسين باي، على أثر ذلك، رفع الشيخ شكوى إلى علي باي وكان رد هذا الأخير بإعطاء عهد الأمان بخصوص تنقلات بيت الشريعة بين القبائل مع عدم مخالطة الأعشاش والابتعاد عن كل من هو مخالف علينا، ليواصل بذلك الشيخ بورقعة عمله الدعوي والإرشادي بين القبائل[2].

كما حدث خلاف سنة (1205هـ/1790م) بين الصيايدة وأولاد رابح من جهة وأولاد أحميد من جهة أخرى أدى إلى انقسام قمار عن بعضها حيث أن الفريق الأول رفضوا نزول

1-علي الشابي: المرجع السابق، ص 404.

2-نفسه، ص ص 408-409.

أولاد أحميد بقمار الذين هم رحالة يتبعون مواشيهم في الصحراء بحثا عن الكلأ ثم يعودون بعدها إلى إقامتهم. وخلال عودتهم، تعرض لهم الصيايدة وأولاد رابح بأسلحتهم، فتدخل أولاد اهويمل ومن معهم بأسلحتهم فوقع القتال بين الطرفين، وكان النصر لصالح أولاد اهويمل وفر الصيايدة إلى تغزوت، ولم يرجع منهم أحد إلى قمار، فتوسط بينهم الشيخ رمضان بن بورقعة الشابي في الصلح للرجوع، لكنهم امتنعوا وقالوا: لا نرجع بالمذلة، فقال لهم مخاطبًا: تَعْيُوا تْقَبّلوا في حوافر الشّهْبة (فرسه) ولا ترجعوا لها حيث كسرتم جاهي (رددتم كلمتي وأهنتموني)، فكان الأمر كذلك[1].

وفي عهد عمار بن رمضان (ت1276هـ/1860م) بلغت منشأة بيت الشريعة أوج رفعتها فكان نائب الأحكام الشرعية، حيث يفصل في القضايا، ويعقد الصلح بين القبائل المتنافرة، خاصة النمامشة والهمامّة وطرود، كما كان يتلقى الشكاوي من الخصوم لإنصافهم[2]، فحكم بين شخصين الأول أحمد بن محمد بن عبد اللطيف، والثاني أبو القاسم بن علي على أن الأول سلف الثاني مبلغا قدره خمسة وعشرون ريالا ونصفا، ولما طالب أحمد بحقه من أبي القاسم، أنكر هذا الأخير إنكارًا تامًا، واتفقا أن يحكم بينهما الحاج عمار فحضر أحمد وأخلف أبو القاسم الموعد، وتوجه أحمد إلى شريك أبو القاسم في المال مَحمد بن أبي الضياف اللموشي وطالبه بما أخذه شريكه، وطلب منه أبو الضياف بينة على أن أبا القاسم أخذ منك مالاً، فحكم عمار لصالح أحمد، وأنه لا يحتاج إلى بينة وإنما يلزمه اليمين وهو مصدق فيما يدعيه، ويسمى في فقه القضاء "اللوث في الأموال"، وذلك بإرجاع المال لأحمد من طرف أبي الضياف لأن مال أبي القاسم تحت يديه، وسجل هذا الحكم القاضي الشيخ

1-محمد الطاهر التليلي: "**فذلكة تاريخية عن منطقة سوف بالجزائر**"، تق: أبو القاسم سعد الله، مجلة العرب، ج 11 و12، الرياض، أوت/جويلية 2002، ص548.

2-علي الشابي: المرجع السابق، ص 418.

محمد بن عمار القماري بتاريخ آخر ربيع الثاني 1249هـ الموافق لـ 14 سبتمبر 1833م[1].

كانت هذه بعض القضايا الاجتماعية التي استطاعت الطريقة الشابية الفصل فيها من خلال التقاضي، أو التحكيم، أو لعب دور الوساطة.

أما الأثر العمراني الذي تركته الطريقة الشابية في سوف فيظهر في تأسيس قرية كوينين بنصيحة من الشيخ محمد المسعود الشابي لأحمد واده (أو أحمد بن واده) كما ذكرنا سابقًا، والمساجد والزوايا بالوادي وقمار التي سنتطرق لها لاحقًا.

كما حظي شيوخ الشابية بمكانة اجتماعية بين أهالي سوف وصلت إلى تعظيمهم لأن بركتهم تعتبر بالنسبة إليهم نعمة من الله[2]، فيلجؤون إليهم عند الحاجة في مختلف مناحي الحياة. ففي إطار المعاملات الاجتماعية تُظهر وثيقة محلية متعلقة بتقديم هبة لغوط به أشجار النخيل الكائن بجرّ[3] الغربية بتغزوت قرب قمار بسوف، بها اسم الشيخ امَحمد بن بورقعة الشابي كشاهد على الهبة في أواخر رجب سنة (1238هـ/1822م)، بأن وهب عبد الله بن لقويضي بن الحاج بلقاسم القماري لأبنيه عمّار وعلي هذا الغوط[4].

لقد ساهمت الطريقة الشابية في الأعمال الإنسانية التي تعمل تحت مظلة منشأة بيت الشريعة من خلال جمع الزكاة والصدقات والتبرعات والمواد التموينية لصالح الأهالي في سوف أو خارجها.

1-أنظر الملحق رقم: 04. ومحمد بن عمار ماني: **المنظومة القضائية في البلاد السوفية من خلال الوثائق قمار انموذجا**، مطبعة الرمال، ط01، وادي سوف الجزائر،2016، ص ص 56-59.

2-Octave DEPONT et Xavier COPPOLANI: **Les Confreries Religieuses Musulmanes**, TYPOGRAPHIE ET LITHOGRAPHIE ADOLPHE JOURDAN, ALGER, 1897, P484.

3- **جــرّ**: هو مجموعة من غابات أشجار النخيل المتتابعة في منطقة واحدة.

4-عبد الفتاح ونيس: **المطالعات الرسمية في الوثائق المحكمية لأهل قمار القصية**، مخ، مكتبته المنزلية قمار، ص 192.

ففي بداية عهد الشيخ أحمد الصغير بن علي الشابي حوالي (1076هـ/1665م) امتنع أهل سوف على تقديم ما اعتادوا عليه لبيت الشريعة فحلت بهم آفة أهلكت ثمار النخيل، اعتقدوا أنها بسبب امتناعهم عن أداء العادة لشيخ بيت الشريعة، فرجعوا إلى عادتهم وتقديم التمور من جديد، حيث صورت امرأة سوفية هذا الحادثة بقولها:

وليـــدات الشّـــابّية تْميراتْ في وسط المزاود

واللّي خْطو الشّابّية صـــابْهم الجـــوع وعاود

تصبحْ بْلادهم خْلية نْخيـــلات كيف المـــراود[1]

استمرت عادة جمع التمور من أصحاب غابات النخيل في سوف، خاصة في قمار وغمرة والبهيمة، إلى غاية أواخر القرن الرابع عشر الهجري (منتصف القرن العشرين)، فكانت تُقدِم لشيوخ الشّابّية كل سنة، وتوزع على مستحقيها[2].

كما استطاع رمضان بن بورقعة (ت1210هـ/1796م)النهوض ببيت الشريعة من خلال نفوذه بين القبائل، خاصة في سوف التي زارها سنة (1188هـ/1774م)، حيث شهدت في عهده ثراء لافتًا بفضل توسيعه لمدى العادة التي يقدمها القبائل للمنشأة والتي بلغت نحو 34 قبيلة تقدم هذه العادة[3].

وفي عهد عمار بن رمضان (ت1276هـ/1860م) تكفل بأهل سوف بمدّهم بالغذاء خلال الأزمات، حيث قدّم لهم الحبوب والسمن المدفوع من النمامشة، ومنح للأخيرة التمور المتحصل عليها من أهل سوف.[4]

1-علي الشابي: المرجع السابق، ص 404.

2-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص 313.

3-علي الشابي: المرجع السابق ، ص 412.

4-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص ص 339-340.

ومن الحكايات الشعبية المتداولة في قمار ونواحيها من منطقة سوف في عهد الشيخ عمار بن رمضان، أن "جنيّة" كانت تفسد التمر بغابات النخيل بغمرة القريبة من قمار، فاشتكى أهلها للشيخ عمار، فلحق بها وقبض عليها في مكان يدعى "المزارة" بسيدي التهامي، ثم رمى بها إلى الناحية الشرقية من النخيل، وبعد هذه الحادثة التزم أصحاب النخيل بتقديم عرجون أو قصعة تمر لشيوخ الشّابّية عندما يزورون قمار، وبقيت العادة مستمرة إلى منتصف القرن الرابع عشر[1].

3-المؤسسات الدينية للطريقة الشابية:

تمثلت المؤسسات الدينية التي تركتها الطريقة الشابية بسوف بالدرجة الأولى في المساجد[2] التي أسسها محمد المسعود الشابي بقمار والوادي، لما قدِم إلى سوف، لوعظ الناس ونشر مبادئ الطريقة. ثم أسس حفيده أحمد الصغير سنة (1085هـ/1674م) مسجد بيت الشريعة غرب قمار (البلدة القديمة)، ولما استمر أحفاد الشابي بالتوافد على سوف، وبالخصوص قمار أسس عمار بن رمضان الشابي زاويته بهذه الأخيرة، فجعلها مقرًّا للوعظ والإرشاد وتقديم الدروس لعامة الناس[3]. ولما توسع نشاط الطريقة، أصبح لها بيت قريب من الزاوية يسمى بيت (حوش) سي عبد الغني، يلتقي به المريدون وطلبة العلم، ثم تحول إلى مسجد سمي بمسجد العمامرة[4]، إضافة لمزارة سيدي الطيب بقمار[5] ودار أولاد سيدي عمار بغمرة[6].

1-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص ص 339-340.

2-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 276.

3-التجاني العقون: **أضواء على مدينة قمار بوادي سوف**، مطبعة الوادي، ط01، الجزائر، 2016، ص ص 335-336.

4-موسى بن موسى: **التغلغل الاستعماري بوادي سوف بين المقاومة والتأقلم 1854-1947**، ص 66.

5-لقاء مع محمد العيد بن البشير شيبوبي: قرب منزله، قمار، 18:30، 2018/05/03. (من مواليد 1936).

6-التجاني العقون: المرجع السابق، ص 336.

1-مسجد محمد المسعود الشابي بالوادي:

يتوسط المسجد[1] مع السوق الأحياء العتيقة: الأعشاش والمصاعبة وأولاد أحمد وسيدي مستور وذلك للارتباط المعيشي والديني بكلا المركزين[2]. وتختلف الروايات في سنة تأسيسه وفي مواد تشييده، حيث يذكر الأستاذ علي غنابزية في مقال له حسب وثائق الأرشيف الفرنسي أنه تأسس سنة (936هـ/1530م)، في عهد عرفة الشابي الذي زار سوف ودعاهم إلى تطوير المسجد والاهتمام به، الذي يعتقد أنه كان مشيدا بالحلفاء والحطب. ولما بدأت زراعة النخيل سنة (946هـ/1540م)، استخدم الجريد وجذوع النخيل لتمتينه وبقائه مدة أطول، حيث شيده العش وأولاد أحمد. واستمر تحسين المسجد وذلك بإدخال مادتي الجبس والحجارة في البناء وكان ذلك على عهد الشيخ محمد المسعود الشابي ما بين (1005-1008هـ/1597-1600م)[3]، ولما التقى الشيخ محمد المسعود أثناء زيارته لسوف بالعش بن عمر بن سليمان بن محمد اليربوعي، أشار إليه ببناء المسجد وكان ذلك سنة (1008هـ/1600م)[4]، ونفس الشيء يذكره الشيخ محمد الطاهر التليلي[5]. ويذكر أيضا الأستاذ عبد الباقي مفتاح في كتابه أنه تأسس سنة (1005هـ/1597م)[6]. ومن الملاحظ أن المسجد أخذ مسارا تطوريا على حسب المواد الأولية المتوفرة في المنطقة خلال تلك الفترة، مما أحدث اختلافات بين الباحثين في تاريخ تأسيسه، فمعظم التواريخ المتداولة تشير إلى الفترة ما بين (1005-1008هـ/1597-1600م) وهي فترة استخدام الحجارة والجبس.

1-أنظر الملحق رقم: 06. والملحق رقم: 12.

2-بن سالم بن الطيب بالهادف: **سوف تاريخ وثقافة**، مطبعة الوليد، د ط، الجزائر، 2007، ص 33.

3-علي غنابزية: **مآثر الطريقة الشابية بوادي سوف منذ القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي**، الملتقى الوطني حول الممارسات الصوفية بين الذوق العرفاني والإبداع الشعبي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، 10-2014/03/11، ص 06.

4-محمد الصالح بن علي: **جماليات العمارة التقليدية في وادي سوف حي الأعشاش انموذجا 1400-2011 دراسة تاريخية وصفية**، مديرية الثقافة بالوادي، ط01، الجزائر، 2014، ج01، ص 43.

5-محمد الطاهر التليلي: **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة**، مخ، مكتبة عبد الفتاح ونيس المنزلية، قمار، ص 40.

6-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص 282.

أخذ المسجد العديد من التسميات منها: المسجد العتيق، مسجد السوق والمسجد الكبير، إضافة إلى اسمه الحقيقي مسجد سيدي المسعود، والذي يعتبر أول مسجد شُيّد بالوادي، حيث كان له دور كبير في استقرار السكان، وتنوير المجتمع ونهضته من خلال التعليم القرآني والإرشاد الديني انطلاقا من الشيخ محمد المسعود الشابي. فتلاميذه خاصة تلميذه المقرب والذي اعتبره البعض كأحد أبنائه مقدّم الزاوية الشيخ محمد علي درباسي (دربال) (ت1030هـ/1621م) دفين ششار بخنشلة[1]، فأصبح مسجد سيدي المسعود قطبا حضاريا ومنارة للعلم يتوافد عليه العلماء والطلبة لتعلم الفقه والحديث والسيرة[2].

2-مسجد محمد المسعود الشابي بقمار:

تأسس مسجد سيدي محمد المسعود[3] سنة (1005هـ/1597م)، حيث يعتبر أول مسجد أسس بقمار[4]، وسط البلدة القديمة التي قامت على نحو 40 حوش (مسكن)[5] يقطنها أولاد زان وأولاد سيدي سعيد وأولاد ماني[6]. ويعتبر الأستاذ محمد ماني أن هذا التاريخ تجديد للمسجد وليس تأسيسا للمسجد كون أنه يوجد سكان يقطنون البلدة قبل هذا التاريخ، إضافة لانتمائهم الإسلامي، فقد يكون مشيدا بمواد بسيطة كانت متوفرة في تلك الفترة[7].

1-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص 290.

2-محمد الصالح بن علي: المرجع السابق، ص ص 97-98.

3-أنظر الملحق رقم: 06. والملحق رقم: 14.

4-André-Roger VOISIN: Op-cit, P 89.

5-عبد العزيز حسونة: **عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف من القرن 10 إلى 13 هـ دراسة أثرية عمرانية**، ص 60.

6-منتديات النهار الجديد: مدينة قمار مدينة العلم والعلماء، http://forum.ennaharonline.com/، 11:00، 2018/05/11.

7-لقاء مع الأستاذ ماني محمد بن عمار (باحث في التاريخ المحلي)، بمنزله بقمار، 19:50، 2018/04/21.

وكان شكل المسجد بسيطا في بنائه، حيث كانت قاعة صلاته في فترة من فتراته يُقدر طول أضلاعها 10×10متر[1]، واستمر في التطور والتجديد عدة مرات أبرزها سنة (1229هـ/1814م)[2]، ثم جدد سنة (1249هـ/1834م)[3] من طرف مبارك ابن عامر من أحفاد سيدي عبد الرحمان الحطابي. وقد ذكر اسم مجدده في عشر أبيات شعرية مكتوبة على حجرة من الرخام[4] مُعلقة على جدار المسجد، ليتواصل تجديده سنتي (1296هـ/1879م) و(1375هـ/1955م) [5]، وآخر تجديد له سنة (1387هـ/1968م)[6].

لقد لعب مسجد سيدي المسعود الشابي دورا دينيا في مجال الوعظ والإرشاد والتوعية، فأصبح مركزا تربويا واجتماعيا وسياسيا، خاصة خلال القرنين 17 و 18م[7]، وقد حمل عدة تسميات متداولة بين الناس منها: المسجد العتيق، المسجد الشرقي ومسجد سيدي المسعود.

3-مسجد بيت الشريعة بقمار:

كان الشيخ علي بن محمد المسعود كثير التنقل مثل والده لنشر العلم والطريقة والقضاء بين الناس في أمورهم، فزار قمار مع أهله، وحط رحاله بالجهة الغربية للبلدة القديمة التي هي محطة للقوافل، حيث يوجد بئر حفره أهل البلدة لعابري السبيل، فكان ينزل بها خلال فصلي الخريف والشتاء ناصبًا خيمته ويرتحل في الربيع، تاركًا أحد كبار طلابه

1-عبد العزيز حسونة: **النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة وادي سوف من القرن العاشر إلى الثالث عشر الهجري القرن السادس عشر إلى التاسع عشر الميلادي دراسة أثرية ومعمارية**، ص 68.

2-محمد الطاهر التليلي: المرجع السابق، ص 126.

3-لقاء مع عبد الفتاح ونيس: باحث في التاريخ المحلي، منزله، قمار، 19:00، 2018/05/07.

4-أنظر الملحق رقم: 05.

5-محمد الطاهر التليلي: المرجع السابق، ص ص 86-126.

6-عبد العزيز حسونة: **عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف من القرن 10 إلى 13 هـ دراسة أثرية عمرانية**، ص 60.

7-عبد العزيز حسونة: المرجع نفسه، ص 60.

لنشر العلم حتى عودته مرة أخرى[1].

وفي سنة (1085هـ/1674م) قدِم احمد الصغير بن علي بعد وفاة والده سنة (1073هـ/1663م)، حيث تولى الطريقة من بعده، فنصب خيمته مع وفوده وسموها بيت الشريعة[2] لتتحول الخيمة إلى مسجد، ليكون بذلك تاريخ تأسيسه ويحمل اسمها، ووضعوا في وسط الخيمة عصا ثم خشبة ثم حجرا، وأصبح هذا الأخير يتبركون به، لينتزع ويخرج من المسجد بدعوى أنه صار وثنًا يعبد من دون الله[3].

وفي نهاية القرن (12هـ/18م)، استقر أولاد أحمد بجوار بيت الشريعة ليصبح مسجدا للصلوات الخمس[4]، وقد مر بعدة تجديدات أبرزها خلال القرن العشرين[5].

4-الزاوية الشّابّية بقمار:

استمر شيوخ الشابية يتوافدون على سوف خاصة قمار[6]، إلى أن قدِم الشيخ عمار بن رمضان الشابي (دامت فترة مشيخته 35 عام من 1825 إلى غاية 1860م) إلى هذه الأخيرة[7]، حيث كان ينزل بالمزارة ويصلي ركعتين، ويستقبله الأهالي والأعيان تحت الأهازيج وضرب الطبول فرحًا بقدومه، وكذلك أثناء رحيله[8]، ليتم بعدها تأسيس الزاوية

1-محمد بن عمار ماني: "**محطات تاريخية حول مسجد بيت الشريعة بقمار**"، كلمة ألقاها بمسجد بيت الشريعة بقمار بمناسبة عقد زواج الأخوين شعيب والطاهر خدة يوم 2016/02/23.

2-أنظر الملحق رقم: 07. والملحق رقم: 14.

3-محمد الطاهر التليلي: **من تاريخ وادي سوف**، مخ، مكتبة عبد الفتاح ونيس المنزلية، قمار، ص 71.

4-عبد العزيز حسونة: المرجع السابق، ص 67.

5-محمد الطاهر التليلي: **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة**، ص 43.

6-محمد الطاهر التليلي: **من تاريخ وادي سوف**، ص 71.

7-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص337.

8-لقاء مع محمد العيد بن البشير شيبوبي: قرب منزله، قمار، 18:30، 2018/05/03. (من مواليد 1936).

الشابية[1] من طرف الشيخ عمار بداخل البلدة القديمة والتي سميت بدار أولاد سيدي عمار[2] أو حوش سيدي عمار[3] بعد اقتناء الدار من أولاد بزه[4] في السوق القديم وجعلها مقرا للوعظ والإرشاد وتقديم الدروس[5].

أما الدور الاجتماعي الإنساني للزاوية، فقد تمثل في جمع التمور من أصحاب غابات النخيل لتنقل بعدها إلى مقر الزاوية بششار بخنشلة، وتوزع على الفقراء والمساكين، وفي المقابل، يتم جلب القمح والشعير إلى سوف خاصة قمار. وكان يشرف على عملية جمع التمور في تلك الفترة، مُقدّم الزاوية الشابية بقمار محمد كردي (من مواليد سنة 1847م)[6]، حيث يتم تجميعه بمقر الزاوية ثم نقله إلى وجهته المذكور سابقًا[7].

كما كان الأهالي يقدمون الغَذاء لشيوخ الشابية بمقر الزاوية، أما العَشاء فتقدمه الزاوية التجانية وذلك باستضافتهم، حيث كانت تربطهم علاقات ودية متبادلة. ويستمر بقاؤهم طيلة فصلي الخريف والشتاء، ثم يغادرون نحو الجريد التونسي[8].

لقد مازجت الزاوية الشابية بين الدور الديني العلمي والثقافي مع الدور الاجتماعي الإنساني، مما أكسبها قابلية داخل المجتمع من خلال العلاقات المتبادلة بين الطرفين. وحفظا على استمرارها، فقد تحولت الزاوية حاليا إلى مدرسة قرآنية[9] تابعة لمسجد بيت الشريعة.

1-أنظر الملحق رقم: 07. والملحق رقم: 14.

2-محمد بن عمار ماني: "**محطات تاريخية حول مسجد بيت الشريعة بقمار**".

3-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص340.

4-لقاء مع محمد العيد بن البشير شيبوبي: قرب منزله، قمار، 18:30، 2018/05/03. (من مواليد 1936).

5-التجاني العقون: المرجع السابق، ص335.

6-لقاء مع ميلود بن محمد بن محمد كردي: منزله، قمار، 11:00، 2018/05/08. (من مواليد 1933).

7-لقاء مع محمد العيد بن البشير شيبوبي: قرب منزله، قمار، 18:30، 2018/05/03. (من مواليد 1936).

8-لقاء مع محمد العيد بن البشير شيبوبي: قرب منزله، قمار، 18:30، 2018/05/03. (من مواليد 1936).

9-أنظر الملحق رقم: 07. والملحق رقم 14.

5-حوش سي عبد الغني العماري وجامع العمامرة بقمار:

بعد تأسيس الزاوية الشابية بقمار، ومع ازدياد الأتباع وتوسع نشاطها، قام المريدون باقتناء حوش (بيت) يسمى حوش سي عبد الغني سنة (1295هـ/1879م)[1]، غير بعيد عن الزاوية باتجاه الشرق بنحو 60م[2]، كما دلني إليه الشيخ محمد العيد شيبوبي في لقاء معه[3]، حيث اشتمل دوره في بادئ الأمر على تحفيظ القرآن الكريم، ليتحول فيما بعد إلى مقر يلتقي فيه أهل قمار لتلاوة القرآن الكريم بعد صلاة المغرب. ثم تطور إلى تقديم الدروس العلمية والمحاضرات من طرف الأئمة والمشايخ، خاصة من علماء تونس. كما كان يتم به سهرات دينية من مدائح وقصائد دينية، خاصة في مناسبة المولد النبوي الشريف[4].

وفي الأخير، تحول البيت إلى مسجد يدعى جامع العمامرة[5] نسبة لعائلة العماري، والذي كان سي عبد الغني العماري إمامًا له (وهو ابن خليفة[6] بن عبد الله العماري مقدّم الشيخ عمار بن رمضان الشابي) فأصبح جزء منه خاصا بإقامة الإمام (بيت له)، والجزء الآخر شُيد عليه الجامع[7]، الذي أصبح اليوم خرابا نظرا للإهمال، ومؤخرا تم تجديد الواجهة الخارجية بجدار من الإسمنت، أما البيت فهو مأهول[8].

6-مزارة سيدي الطيب أو سي الطيب بقمار:

توجد عدة مزارات في أماكن متفرقة، ومنها مزارة في الجهة الشمالية الشرقية[9] من البلدة القديمة (قمار)، كانت محطة للالتقاء من جميع الفئات، ومن مختلف مشارب المجتمع،

1-موسى بن موسى: المرجع السابق، ص 66.

2-أنظر الملحق رقم: 08. والملحق رقم: 14.

3-لقاء مع محمد العيد بن البشير شيبوبي: قرب منزله، قمار، 18:30، 2018/05/03. (من مواليد 1936).

4- موسى بن موسى: المرجع السابق، ص 66.

5-أنظر الملحق رقم: 08.

6-أنظر الملحق رقم: 10. والملحق رقم: 14.

7-لقاء مع محمد العيد بن البشير شيبوبي: قرب منزله، قمار، 18:30، 2018/05/03. (من مواليد 1936).

8-أنظر الملحق رقم: 08. والملحق رقم: 14.

9-أنظر الملحق رقم: 09. والملحق رقم: 15.

وليست مقتصرة على فئة محددة[1]. حيث كان وفود الشابية ينزلون عندها لما يأتون من الجريد التونسي، ويُصلّون بها ركعتين مع استقبالهم من طرف الأهالي كما ذكرنا سابقا[2].

أما فيما يتعلق بشكلها وحجمها وموقعها[3]، فهي تختلف حسب الروايات المتداولة (الأستاذ محمد ماني، ومحمد العيد شيبوبي، وميلود كردي ...) حيث كانت في بادئ الأمر عن مكانًا للالتقاء دون وجود أي معلم بها، وبمرور الزمن، بدأ الناس يضعون الحجارة في هذا المكان ثم تم بناؤها في شكل قبة على سطح الأرض، يتراوح ارتفاعها ما بين (01-1.5متر) وعرض قاعدتها (1.20-1.40متر) وبها فتحة صغيرة ارتفاعها حوالي (0.40متر) يضعون بها الشموع ويتبركون بها، ولم تكن ثابتة في مكان واحد بسبب التوسع العمراني، واليوم لم يصبح لها أي أثر، حيث كان يطلق عليها مزارة سيدي الطيب أو سي الطيب.

7-دار أولاد سيدي عمار بغمرة:

تسمى أيضا بزاوية أو مزارة أولاد سيدي عمار حسب مختلف الروايات نسبة لعمار بن رمضان الشابي، والتي تعود إلى حادثة قصة "الجنية" مع الشيخ عمار المذكورة سابقا.

كان تشييد الدار[4] في مكان القبض على "الجنية" أو بعدها ببضعة أمتار مع نهاية أثر[5] فرس الشيخ عمار بمكان سيدي التهامي بغمرة، حيث يمتد هذا الأثر على مسافة حوالي 02 كم باتجاه الشمال مع طريق القوافل، أو ما يطلق عليه محليا بطريق البعير[6] والذي يتقاطع مع طريق لخصيم المتجه شرقا حاليا. كما كان الناس عند مرورهم بمسار الفرس، يقومون بإبراز أثرها حفاظا عليها من الاندثار[7]، فأصبحوا يتبركون بها ويستخدمون تربتها في

1-لقاء مع ميلود بن محمد بن محمد كردي: منزله، قمار، 11:00، 2018/05/08. (من مواليد 1933).

2-لقاء مع محمد العيد بن البشير شيبوبي: قرب منزله، قمار، 18:30، 2018/05/03. (من مواليد 1936).

3-أنظر الملحق رقم: 09. والملحق رقم: 15.

4-أنظر الملحق رقم: 09. والملحق رقم: 16.

5-أنظر الملحق رقم: 16.

6-لقاء مع حميدة بن البشير كرثيو: مزرعته ودار أولاد سيدي عمار، غمرة، 09:40، 2018/05/08.

7-لقاء مع محمد العيد بن البشير شيبوبي: قرب منزله، قمار، 18:30، 2018/05/03. (من مواليد 1936).

العلاج[1]. وقد اندثرت تماما هذه الآثار بسبب التوسع العمراني، أما بالنسبة للدار فلم يبق منها إلا بعض الأطلال والتي جددت عدة مرات[2].

كان شيوخ الشابية يزورونها عندما يأتون من الجريد التونسي خلال الخريف لجمع التمور، وقبل وصولهم إليها يُصلّون ركعتين، فكان أهالي غمرة يستضيفونهم حيث يُقدِمون لهم الطعام في هذه الدار[3]. كما أن الشيوخ يلقون دروسا بها في الوعظ والإرشاد بحضور الكبار والصغار، ويقيمون بها يومين أو ثلاثة أيام، ثم يعودون إلى الزاوية الشابية بقمار[4].

كانت هذه أبرز المؤسسات الدينية للطريقة الشابية بسوف، والتي انحصرت بدرجة كبيرة بقمار ثم الوادي وغمرة، كما يوجد مسجد أولاد المسعود بالبهيمة (حساني عبد الكريم) يعتقد أنه من منشآت الطريقة الشابية حسب ما يدل عليه اسمه والروايات المتداولة، ولكن لم أتوصل إلى حقائق ثابتة في هذا المضمار، ولعل البحث المستقبلي يكشف ذلك.

4-الاستقرار الشابي:

إن تنقلات شيوخ الشابية المتكررة، خاصة الشيخ محمد المسعود وأحفاده من بعده إلى سوف وثقت العلاقات الاجتماعية مع الأهالي، مما جعل منطقة سوف موطن استقرار لأولاد الشابي، بالإضافة للزيارات السنوية عند موسم جني التمور في فصل الخريف[5] خاصة خلال القرن 19م في فترة الشيخ عمار بن رمضان وابنيه أحمد وسعيد. وذلك أنه في الوقت الحالي نجد أحفادهم يتمركزون في منطقتي الدبيلة وقمار، وهذا ما تبينه بعض الكتابات، حيث أنه عندما تولى الشيخ سعيد بن عمار المشيخة بتونس سنة (1283هـ/1867م) والذي عُين بوصية من المقدّم خليفة العماري القماري، تولاها أيضا بالجزائر وبالأخص في منطقة سوف

1-لقاء مع ميلود بن محمد بن محمد كردي: منزله، قمار، 11:00، 2018/05/08. (من مواليد 1933).
2-لقاء مع حميدة بن البشير كرثيو: مزرعته ودار أولاد سيدي عمار، غمرة، 09:40، 2018/05/08.
3-لقاء مع ميلود بن محمد بن محمد كردي: منزله، قمار، 11:00، 2018/05/08. (من مواليد 1933).
4-لقاء مع حميدة بن البشير كرثيو: مزرعته ودار أولاد سيدي عمار، غمرة، 09:40، 2018/05/08.
5-محمد الطاهر التليلي: **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة**، ص 69.

الشيخ إبراهيم بن أحمد بن عمار سنة (1284هـ/1868م) وعمره 61 عاما[1]. كان هذا مؤشرا لبداية استقرار آل الشابي بسوف، إضافة إلى انحصار الطريقة في المنطقتين من خلال اقتصار أتباعها في بعض أفراد عائلة الشابي[2]، مع ما تظهره أيضا وثيقة شجرة نسب الشابية أن نسب العائلتين بكلتا المنطقتين السابقتين يلتقيان عند الشيخ أحمد بن عمار بن رمضان الشابي (ت 1283هـ/1867م)[3].

وقد يكون هذا الاستقرار العائلي بوادي سوف يعود لأسباب استعمارية، وذلك بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة (1297هـ/1881م) وتمكنت الإدارة الفرنسية بوادي سوف من فرض تواجدها بقوة، حيث كانت الدبيلة أول مركز لاستقرار الفرنسيين بسوف سنة (1298هـ/1882م).

وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس، ولكثرة تنقلات شيخ الطريقة محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عمار بن رمضان الشابي لسوف، أنشأ مقرا للشابية بالدبيلة وقمار له ولأبنائه، نظرا لتزايد أتباع الشابية بسوف، فاستقروا بها وتحصلوا على الجنسية الجزائرية[4].

كما توجد عائلات أخرى في منطقة سوف تحمل اسم الشابي في حاسي خليفة، والوادي، وتغزوت، وكوينين (كانت موجودة)، ولكن لم أستطع إثبات صلتها بعائلة الشابي الأصلية القادمة من تونس، لأن الشجرة العائلية المتعلقة بأصول وفروع حاسي خليفة والوادي وتغزوت غير مكتملة للتحقق من انتمائها للشجرة الأم، وكنت قد أجريت لقاءات مع بعض أفراد عائلاتهم (حاسي خليفة، الوادي، تغزوت)، ويبقى الاسم العائلي يرهنه ثلاثة احتمالات هي: تشابه في الاسم العائلي ولا ينتمي للعائلة الأم، أو اختلاف في الاسم العائلي وينتمي للعائلة الأم (خاصة مع وضع منظومة التسمية في فترة الثلاثينيات من القرن الماضي

1-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص 349.

2-موسى بن موسى: المرجع السابق، ص 66.

3-محمد الضحاك الشّابّي وعبد الله الشّابّي: المرجع السابق.

4-عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق، ص 69.

من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي التي قسمت العائلات وألغت التسميات واستحدثت أخرى)، أو ينتمي بتشابه أو اختلاف للاسم العائلي ولا يمكن إثبات ذلك بشيء مادي كما ذكرنا سابقا.

والخلاصة في هذا الفصل، أن الشابية تركت بصمتها في عمق المجتمع السوفي عبر مراحل زمنية مستمرة، بداية من التواصل بين طرود والشيخ عرفة الشابي خلال القرن (10هـ/16م)، ليتطور أكثر مع بداية القرن (11هـ/17م) مع الشيخ محمد المسعود وابنه علي، وذلك من خلال نشر دعوته وبعث الدين الإسلامي من جديد بعد أن شهد تراجعا وضعفا، وتركا معالم دينية تتمثل في مسجدي الوادي وقمار. ويستمر من بعدهما أحفادهم في التوافد على منطقة سوف متبعين منهج أسلافهم، إضافة إلى الإشراف على الأعمال الإنسانية والاهتمام بالفقراء والمساكين والمعوزين من خلال مقراتهم الدينية والاجتماعية التي ظهرت في القرن (13هـ/19م)، فازداد تفاعل مجتمع وادي سوف مع الطريقة الشابية بتزايد أعداد الأتباع الذين أصبح منهم مقدمون وطلاب علم. ومع اقتراب نهاية القرن (13هـ/19م)، بدأت تظهر ملامح الاستقرار الشابي بسوف، خاصة في الدبيلة وقمار من خلال تأسيس مقرات للشّابّية بكلتا المنطقتين، والتي مازالت لحد اليوم توجد العائلة الشابية بهما.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة المحلية لإقليم وادي سوف من خلال الطريقة الشابية ودورها الديني وأثرها الاجتماعي لحوالي ثلاثة قرون ونصف، يمكن استخلاص العديد من النتائج أبرزها ما يلي:

-استطاعت الطريقة الشابية المزج بين الدور الديني والدور السياسي، خاصة عند استقلالها بالقيروان، وجعلها عاصمة لها، وتمكنت من تكوين إمارة تحمل اسمها، ولكنها إمارة تجمع القبائل فقط.

-اعتماد الطريقة الشابية على القبائل التونسية والجزائرية من أجل التمكين لها وانتشارها ودعمها ماديا ومعنويا.

-انقسام الطريقة الشابية إلى تيارين: تيار سياسي عسكري، وتيار ديني روحي. ولكن هذا الأخير هو الذي نجح في استمراريته، بعد فشل الأول في مواجهة العثمانيين لأزيد من 120سنة (1557-1677م).

-استحداث الزاوية المتنقلة والتي عرفت بمنشأة بيت الشريعة، من طرف علي بن محمد المسعود الشابي، والتي لم تعهدها الطرق الصوفية الأخرى، مما ساعد وسهل انتشار الطريقة بين القبائل واستقطاب المريدين والأتباع إليها.

-عُرِفُ شيوخ الشابية بكثرة تنقلاتهم وترحالهم في سبيل الدعوة للطريقة ونشر الإسلام الذي شهد تراجعا كبيرا، خاصة في إقليم وادي سوف، فاعتبر الشيخ محمد المسعود الشابي من المجددين للدين في المنطقة، وواصل أحفاده من بعده، تلك السُنة الحميدة.

-لعب شيوخ الشابية دورا تربويا وإرشاديا تمثل في توعية المجتمع السوفي، حيث تخرج على أيديهم طلاب علم من أمثال: علي دربال الذي كان له دور علمي وتثقيفي بين أفراد المجتمع.

-تركت الطريقة الشابية معالم دينية بارزة إلى اليوم، متمثلة في المساجد والزوايا، خاصة في منطقتي الوادي وقمار، مازالت شاهدة على مآثر ذلك التاريخ.

-نتج عن العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع بلاد الجريد التونسي استقرار بعض عائلات الشابي في سوف، خاصة في منطقتي الدبيلة وقمار وذلك في نهاية القرن 19م.

-ضعف تجاوب المجتمع السوفي للدعوة الشابية في بادئ الأمر خلال عهد الشيخ محمد المسعود الشابي، ولم يتبعه إلا قلة من أفراد المجتمع، ومع تردده لعدة مرات على المنطقة مع ابنه علي. وبدأت علامات القبول تنتشر وتتوغل عبر مختلف المناطق التي زارها، وشهدت عليها المساجد العريقة التي مازالت تحفظ ذكراهم.

-تقديم خدمات إنسانية للفقراء والمساكين من خلال التبرعات المُقدمة للطريقة، أو ما يعرف بتقديم "العادة"، وهي تبرعات تتم من الطرفين ، فيجلبون من خنشلة القمح والشعير والسمن ويوزعونها في سوف، وفي المقابل يتم جمع التمور من أصحاب غابات النخيل بالمنطقة (سوف) وتحمل إلى ششار بخنشلة أين توجد الزاوية الشابية، ويتم توزيعها على السكان.

-اعتقاد بعض عامة الناس في بركة شيوخ الشابية لدرجة التعظيم، كحادثة "الجنية" والتبرك بأثر فرس الشيخ عمار بن رمضان الشابي، لأنه المُخلص لهم من هذه الكائنة التي كانت تفسد ثمار نخيلهم.

-كما بقيت قضايا عالقة لضيق الوقت وعدم التوصل إلى نتائج وهي متروكة للباحثين من بينها : مدى علاقة مسجد أولاد المسعود بحساني عبد الكريم بالشابية، أم هو مجرد اسم فقط؟ كذلك قضية النسب العائلي (بين التشابه والاختلاف في الاسم العائلي، وتواجدهم في مناطق متفرقة من سوف من غير منطقتي قمار والدبيلة)، وعدم تحصلي على وثائق متعلقة بالشابية ووادي سوف كالمخطوطات أو المراسلات بينما توجد وثائق بين الشابية والمناطق الشمالية لسوف في مركز الأرشيف الوطني التونسي، وهذا ما يتطلب وقتا أطول للبحث في الوثائق

بالمركز، لأن معظمها باللغة الأجنبية. وقد تكون الوثائق موجودة ولكن لم أصل إليها لنقص الخبرة في هذا الميدان، كما أن الانتشار الواسع لعائلة الشابي في مختلف المناطق التونسية والشرق الجزائري يحتاج إلى تنقلات إضافية للبحث في مدى التواصل والترابط الأسري لآل الشابي. أما أملاكهم، فأغلبها مؤسسات دينية هي الآن تحت وصاية وزارة الشؤون الدينية على ما أعتقد، كمسجدي محمد المسعود بالوادي وقمار ومسجد بيت الشريعة بقمار. كما أن الزاوية الشابية بقمار تحولت إلى مدرسة قرآنية تابعة للمسجد الأخير، أما حوش سي عبد الغني وجامع العمامرة على ما أعتقد أنهما تابعان لعائلة العماري، وأما دار أولاد سيدي عمار بغمرة فهي منهارة وعبارة عن خراب ومهملة، وأما المزارة فلم يبق لها أي أثر، وأصبح في مكانها طريق معبد.

وعموما فإن فرقة الشابية في وادي سوف، شهدت علاقات اجتماعية هامة، في الفترة الموالية للدراسة، ولا سيما في القرن العشرين.

الملاحق

الملحق رقم 01: مخطط علاقة الشابية بالطريقة الشاذلية [1]

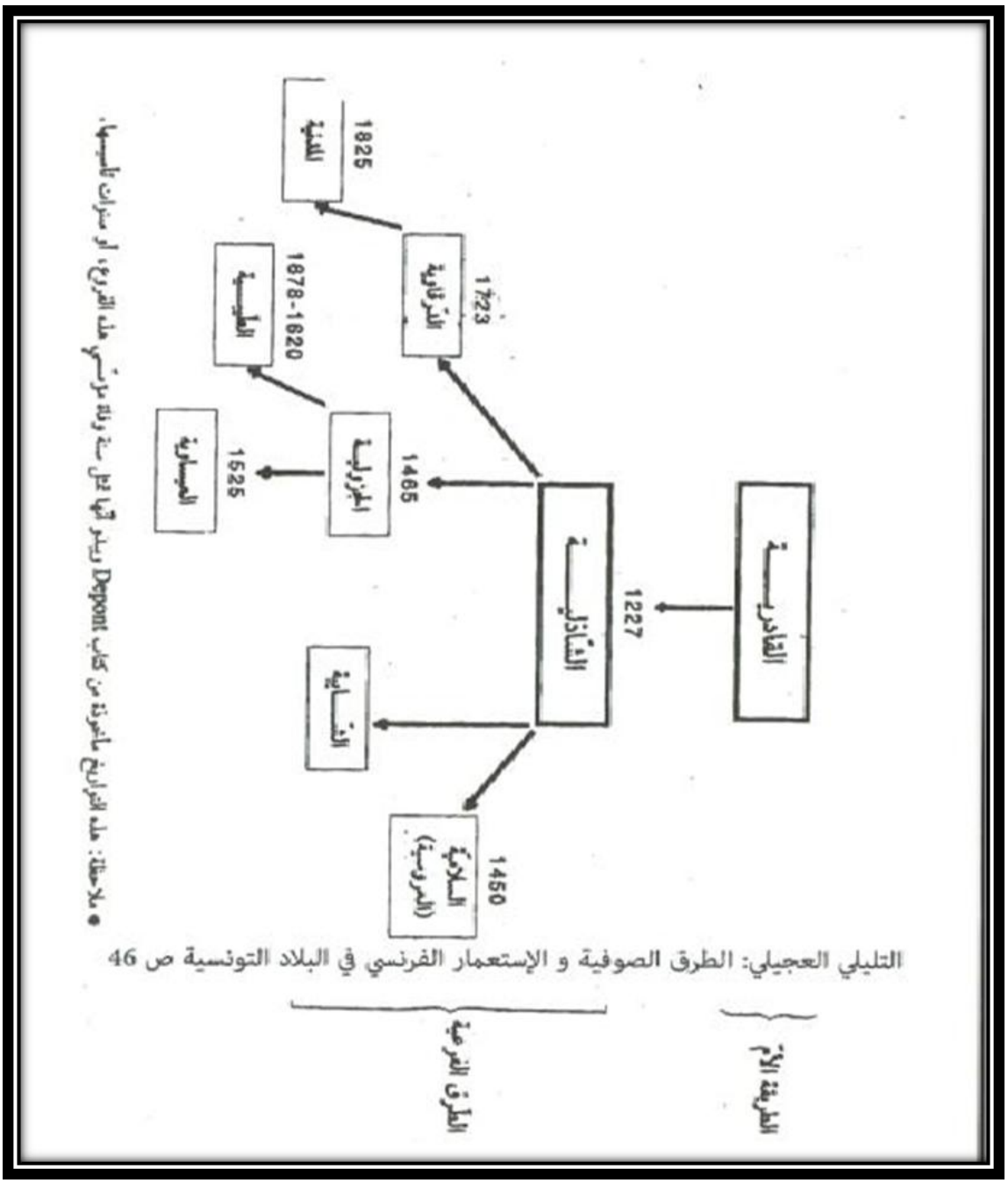

التليلي العجيلي: الطرق الصوفية و الإستعمار الفرنسي في البلاد التونسية ص 46

مخطط يوضح انتماء الشابية للطريقة الشاذلية

1-محمد مكحلي: **ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني 1707-1827**، دار آفاق كوم للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 2015، ص 234.

الملحق رقم 02: شجرة الشابية بقمار[1]

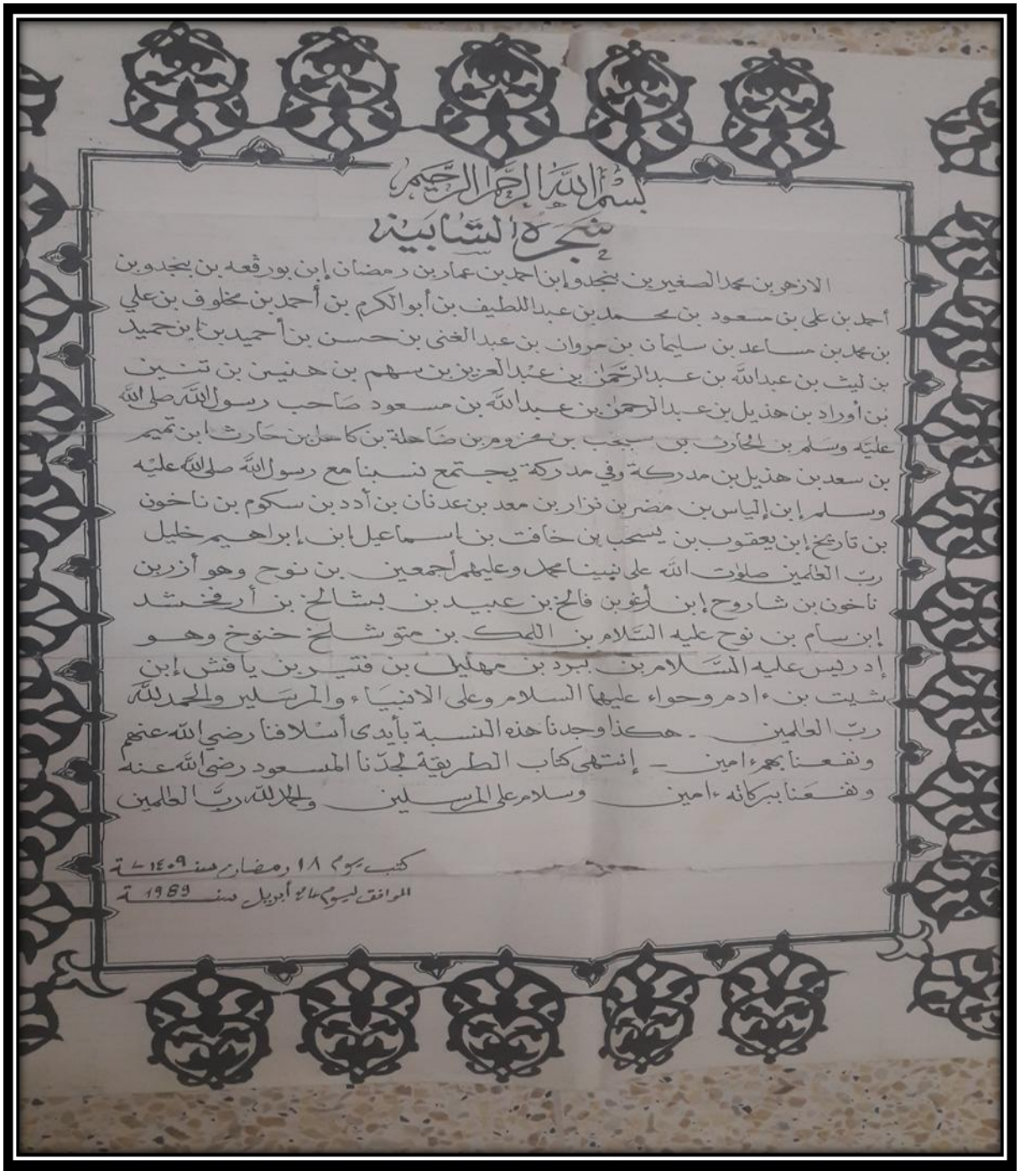
بسم الله الرحمن الرحيم

شجرة الشابية

الازهر بن محمد الصغير بن بجدو ابن احمد بن عمار بن رمضان ابن بورقعه بن بجدو بن أحمد بن علي بن مسعود بن محمد بن عبد اللطيف بن أبو الكرم بن أحمد بن مخلوف بن علي بن محمد بن مساعد بن سليمان بن مروان بن عبد الغني بن حسن بن أحمد بن ابن حميد بن ليث بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سهم بن هنين بن تنين بن أوراد بن هذيل بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بن الحارث بن سبخب بن مخزوم بن صاحلة بن كاهل بن حارث ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة وفي مدركة يجتمع نسبنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إبن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن سكوم بن ناخون بن تارخ إبن يعقوب بن يسحب بن خافت بن اسماعيل ابن إبراهيم خليل رب العالمين صلوات الله على نبينا محمد وعليهم أجمعين بن نوح وهو أزر بن ناخون بن شاروح إبن أغو بن فالخ بن عبيد بن بشالخ بن أرفخشد إبن سام بن نوح عليه السلام بن اللمك بن متوشلخ خنوخ وهو إدريس عليه السلام بن يرد بن مهليل بن قنين بن يافش إبن شيث بن ءادم وحواء عليهما السلام وعلى الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين - هكذا وجدنا هذه النسبة بأيدي أسلافنا رضي الله عنهم ونفعنا بهم ءامين - إنتهى كتاب الطريقة لجدنا المسعود رضي الله عنه ونفعنا ببركاته ءامين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

كتب يوم ١٨ رمضان سنة ١٤٠٩ هـ
الموافق ليوم ٢٤ أبريل سنة 1989 م

شجرة الشابية "فرع قمار" بوادي سوف ونسب أحمد بن مخلوف الشابي

1-شجرة الشابية فرع قمار، توجد عند بدر الدين الشابي بن الأزهر بمنزله بقمار، مؤرخة في 18 رمضان 1409 الموافق لـ24 أفريل 1989.

الملحق رقم 03: شيوخ بيت الشريعة [1]

الاسم	زمن تولّي المشيخة
علي بن محمّد المسعود	1630-1663
احمد الصّغير بن علي	1663-1691
ابو عبد الله محمّد بنجدّو بن أحمد الصّغير	1691-1711
المشري بن بنجدو	1711-1730
محمّد الصّالح بن المشري	1730-1733
بورقعة بن بنجدو	1733-1774
رمضان بن بورقعة	1774-1796
مُحمّد بن بورقعة (بالاشتراك)	1796-1828
مَحمّد بن بورقعة (بالاشتراك)	1796-1825
عمّار بن رمضان (بالاشتراك)	1825-1860
بورقعة بن محمّد (بالاشتراك)	1828-1848
عامر بن بورقعة (بالاشتراك)	1848-1849
أحمد بن عمّار (بالاشتراك)	1848-1860
أحمد بن عمّار (منفردا)	1860-1867

جدول حول شيوخ بيت الشريعة من 1630 إلى 1867

1-علي الشابي: **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، ص 428.

الملحق رقم 04: وثيقة حكم قاضي قمار في قضية خصومة [1]

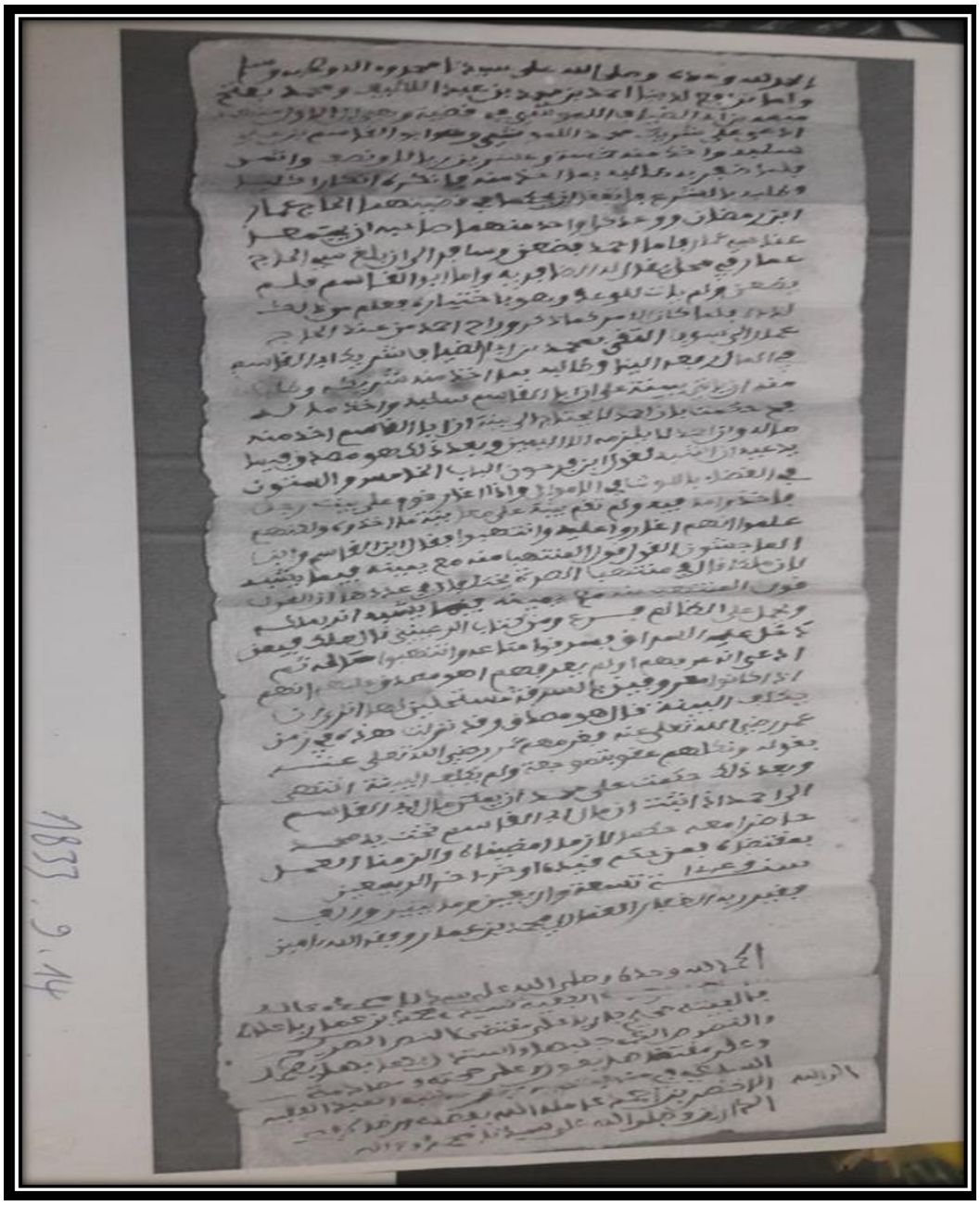

وثيقة النطق بالحكم الذي أصدره محمد بن عمار في 14 سبتمبر 1833، بعد تحكيم الشيخ عمار بن رمضان الشابي من طرف الخصمين

1–عبد الفتاح ونيس: وثيقة أرشفية بمكتبته المنزلية، قمار. ومحمد بن عمار ماني: **المنظومة القضائية في البلاد السوفية**، ص 59.

الملحق رقم 05: جدارية بمسجد المسعود الشابي بقمار [1]

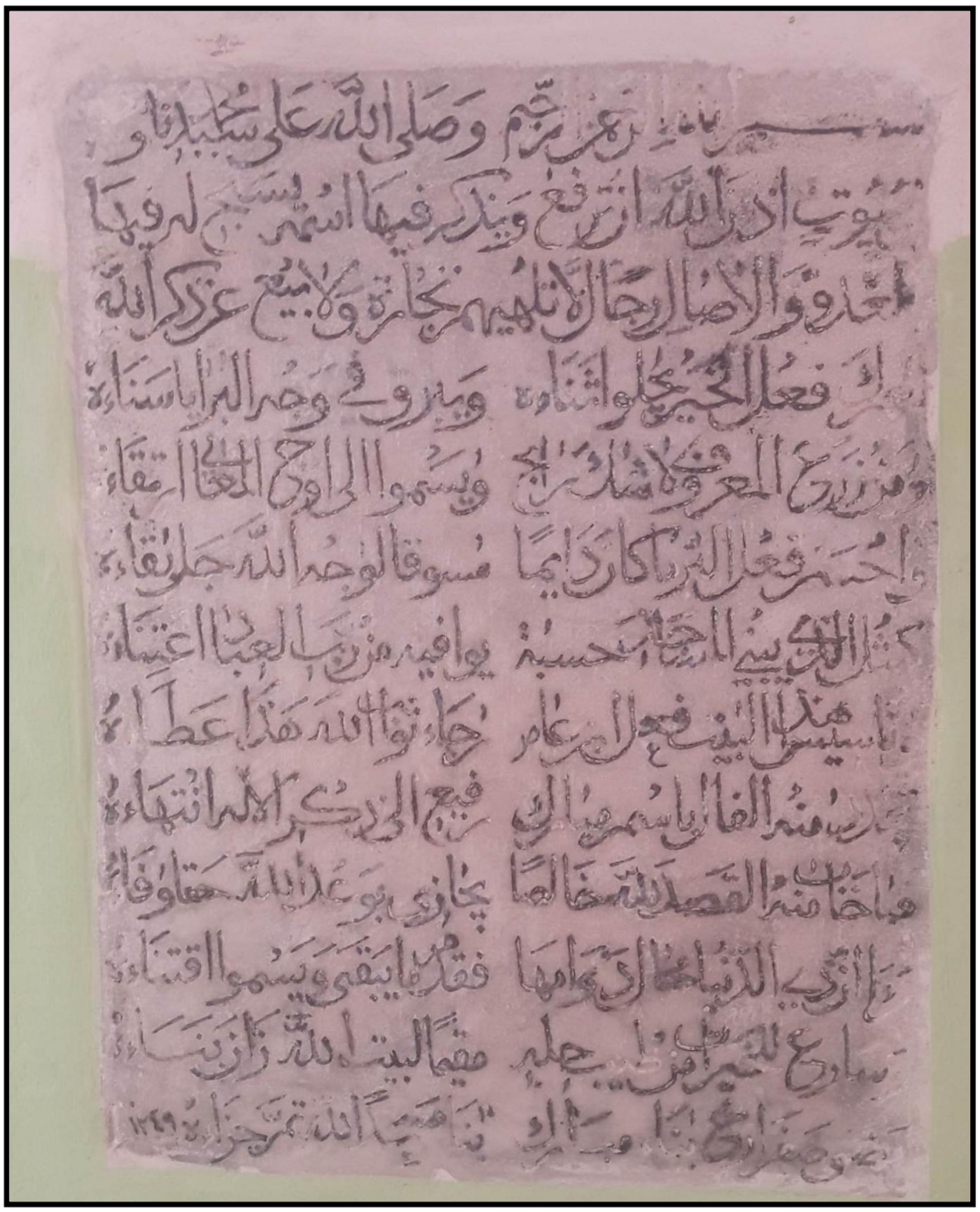

صورة لحجرة الرخام داخل مسجد سيدي محمد المسعود بقمار بها اسم مجدد المسجد مبارك ابن عامر سنة (1249هـ/1833م)

1- محمد الطاهر التليلي: **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة**، ص ص 86.

الملحق رقم 06: مساجد سيدي محمد المسعود الشابي بوادي سوف

صورة لمسجد سيدي محمد المسعود الشابي بقمار [1]

صورة قديمة لمسجد محمد المسعود الشابي بالوادي [2]

1- تصويره من قبل الباحث.

2- مدونة وادي سوف http://ouadisoufnew.blogspot.com/.

الملحق رقم 07: صور بعض معالم الشابية في قمار

صورة لمسجد بيت الشريعة غرب البلدة القديمة بقمار [1]

صورة لزاوية سيدي عمار أولاد سيدي عمار الشابي وتحولت إلى مدرسة قرآنية تابعة لمسجد بيت الشريعة [2]

1- تصويره من قبل الباحث.

2- تصويره من قبل الباحث.

الملحق رقم 08: صور لعقارات الشابية بقمار

صورة لحوش (بيت) سي عبد الغني بن خليفة بن عبد الله العماري شرق البلدة القديمة بقمار (يظهر باللون الأصفر على اليمين) وفي الخلف تظهر صومعة مسجد سيدي محمد المسعود[1]

صورة لجامع العمامرة شرق البلدة القديمة بقمار[2]

1- تصويره من قبل الباحث.

2- تصويره من قبل الباحث.

الملحق رقم 09: مزارة الشابية بقمار

صورة لمزارة (زاوية) أو دار أولاد سيدي عمار بغمرة [1]

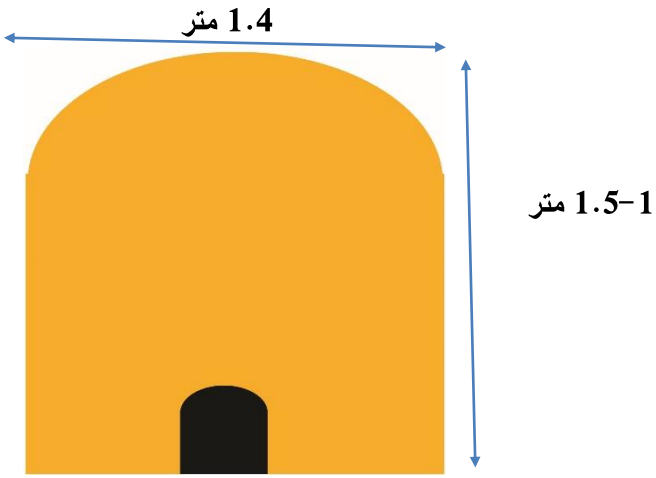

مخطط تقريبي يوضح شكل وحجم مزارة سيدي الطيب أو سي الطيب شمال شرق البلدة القديمة بقمار [2]

1-تصويره من قبل الباحث.

2-تصويره من قبل الباحث.

الملحق رقم 10: صور أضرحة أتباع الشابية بسوف

صورة لضريح أحمد بن واده بمقبرة كوينين الشرقية [1]

صورة لقبة ضريح خليفة بن عبد الله العماري وابنه أحمد بمقبرة قمار[2]

1 – تصويره من قبل الباحث.

2 – تصويره من قبل الباحث.

الملحق رقم 11: مسار رحلة محمد المسعود الشابي و ابنه علي في سوف

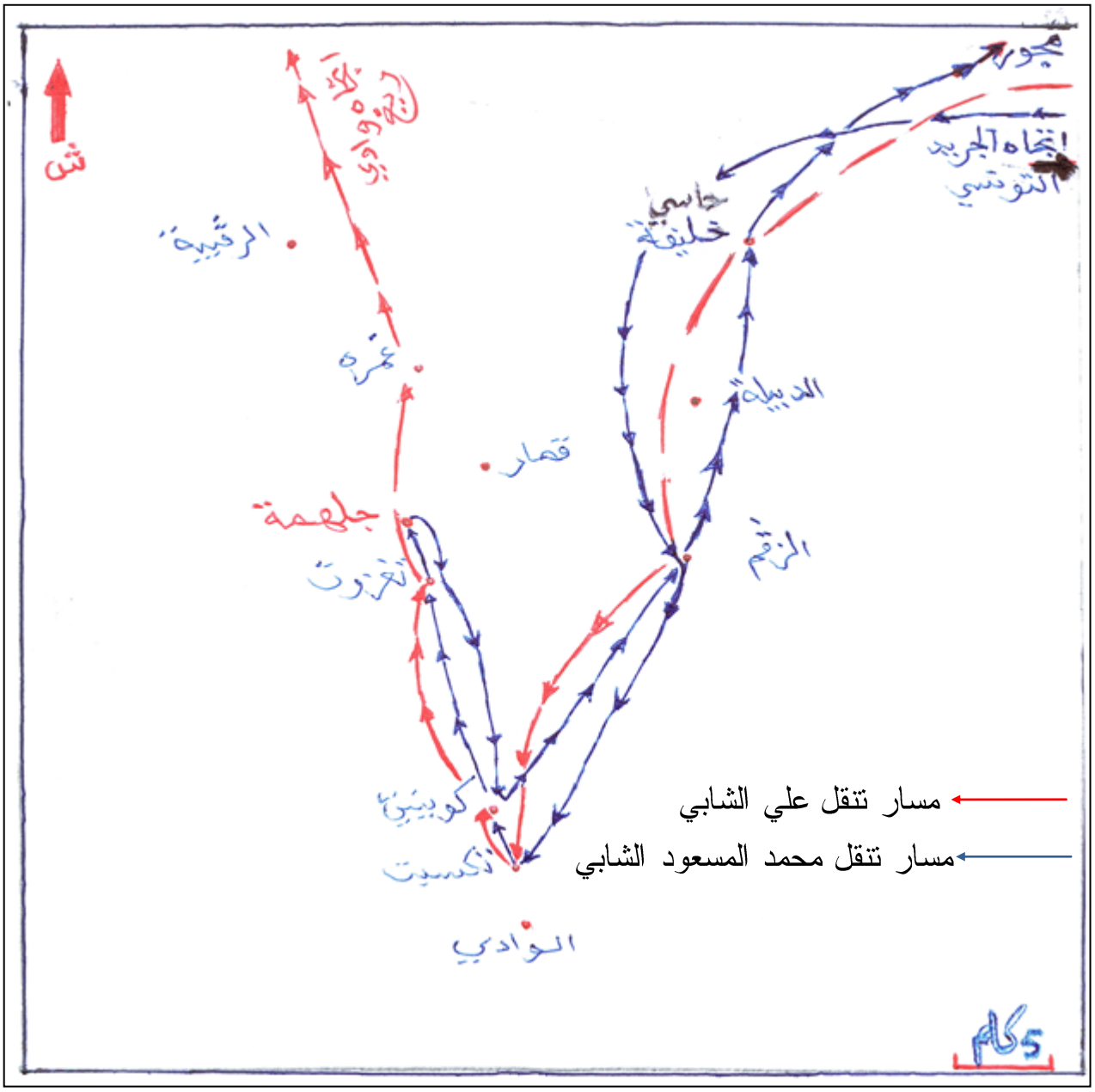

رسم تخطيطي يبين المسار التقريبي الذي سلكه الشيخ محمد المسعود الشابي وابنه علي من الجريد التونسي نحو سوف ثم رحلة الرجوع [1]

1- محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص ص 111-129. وإبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص ص 242-244.

الملحق رقم 12: صورة جوية لموقع مسجد سيدي محمد المسعود بالوادي

صورة تبين مسجد سيدي محمد المسعود الشابي بالوادي يتوسط الأحياء العتيقة المصاعبة، والأعشاش، وأولاد أحمد [1]

1-موقع Google Earth، إضافة إلى تحديده من قبل الباحث.

الملحق رقم 13: صورة جوية لموقع في كوينين

صورة جوية تبين الموقع التقريبي لموضع كانون واده وضريحه بكوينين [1]

1-موقع Google Earth، إضافة إلى تحديده من قبل الباحث.

الملحق رقم 14: صورة جوية للمعالم الدينية للشابية بقمار

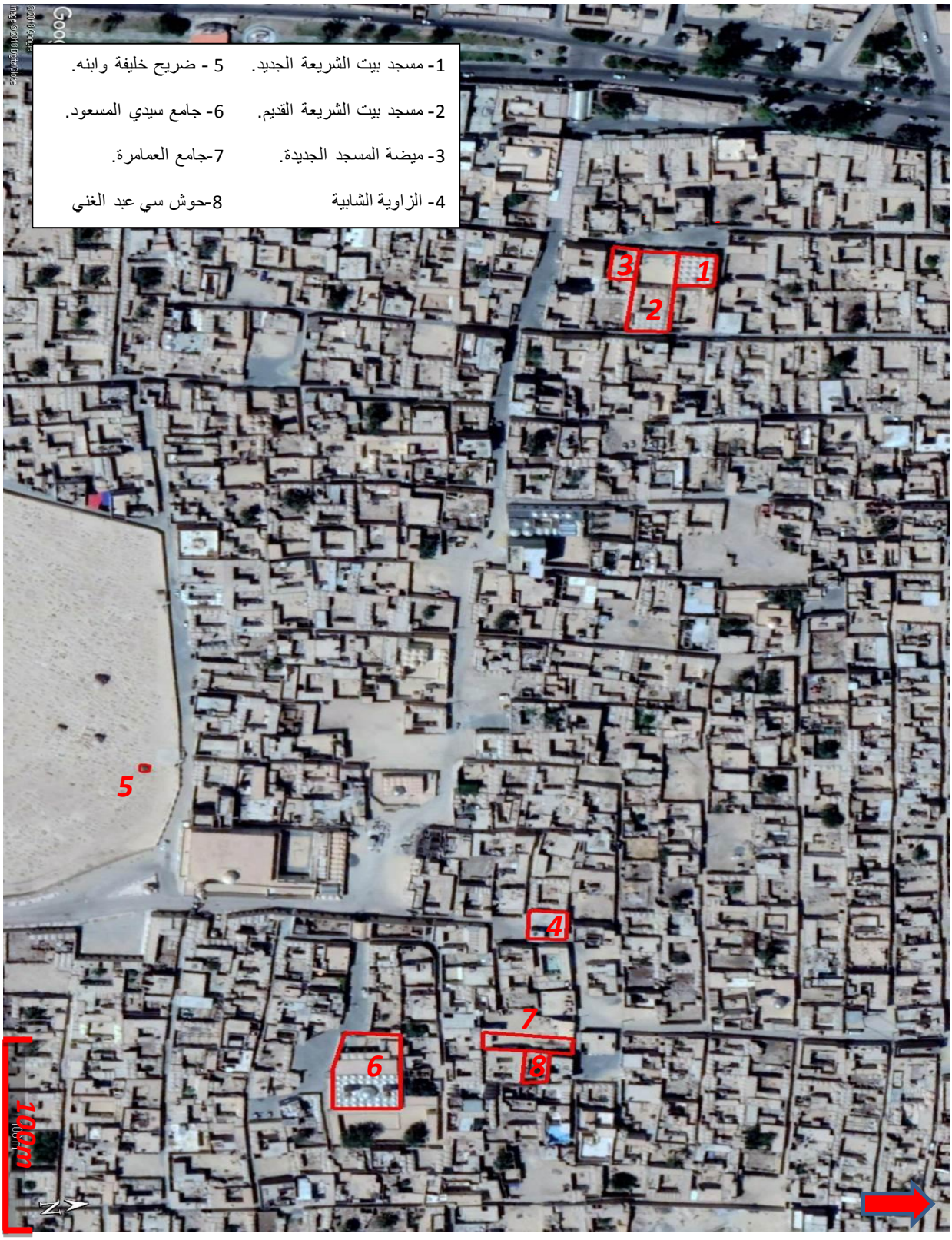

صورة جوية تبين المعالم الدينية للطريقة الشابية شرق وغرب البلدة القديمة بقمار [1]

1- موقع Google Earth، إضافة إلى تحديده من قبل الباحث.

الملحق رقم 15: صورة جوية لمزارة للشابية بقمار

صورة جوية تبين الموقع التقريبي لمزارة سيدي الطيب أو سي الطيب بالجهة الشمالية الشرقية للبلدة القديمة بقمار [1]

1- موقع Google Earth، إضافة إلى تحديده من قبل الباحث.

الملحق رقم 16: صورة لمواقع أثرية لمعالم الشابية بغمرة

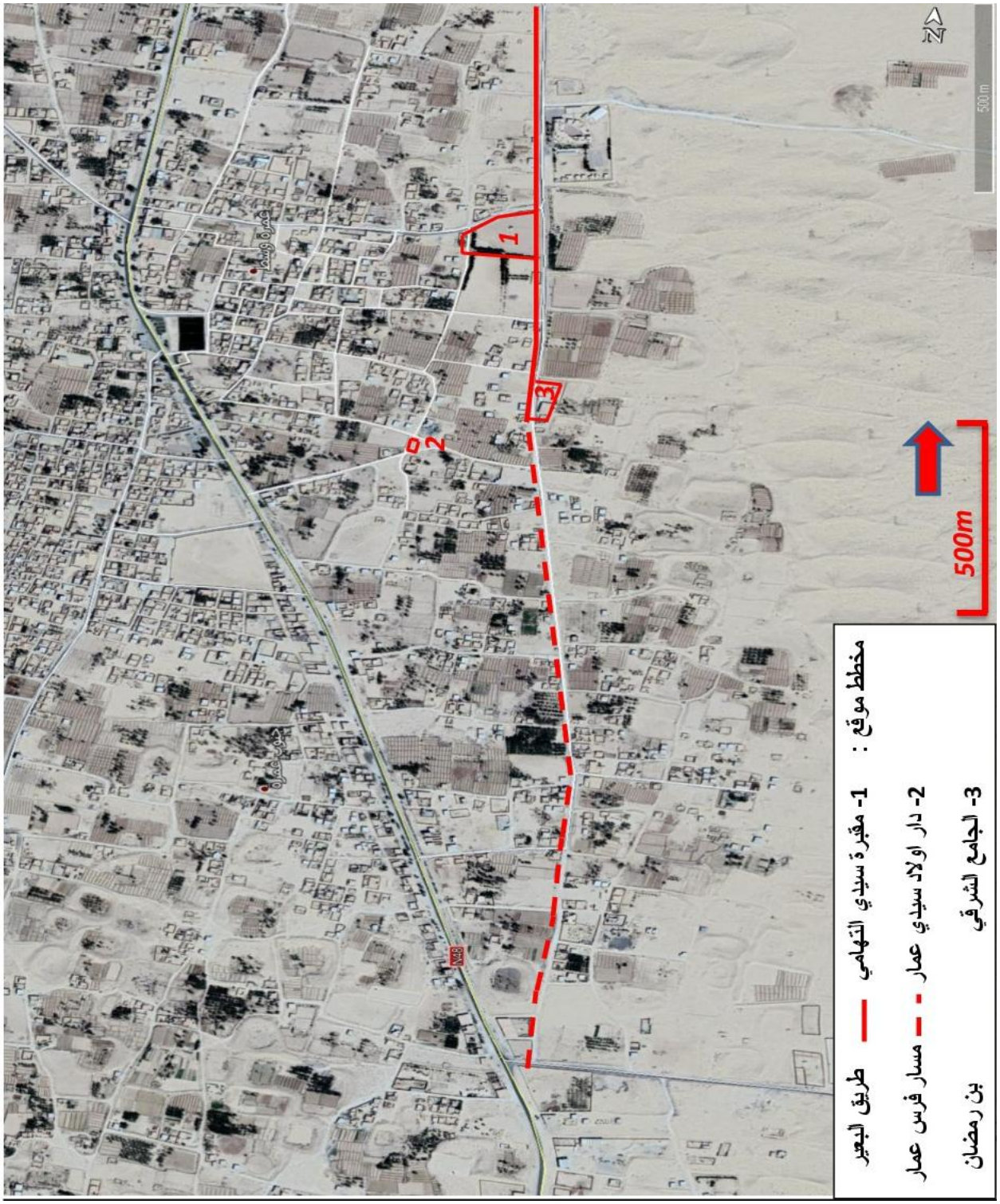

صورة جوية تبين الموقع التقريبي لدار أولاد سيدي عمار مع المسار لأثر فرس عمار بن رمضان الشابي بغمره [1]

1– موقع Google Earth، إضافة إلى تحديده من قبل الباحث.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

أ-الوثائق المطبوعة والمحلية:

01-الشّابّي محمد الضحاك والشّابّي عبد الله: **شجرة نسب الشّابّية**، جمعية الشّابّي للتنمية الثقافية والاجتماعية، ط01، تونس، 2017.

02-شجرة الشابية فرع قمار، توجد عند بدر الدين الشابي بن الأزهر بمنزله بقمار، مؤرخة في 18 رمضان 1409 الموافق لـــ 24 أفريل 1989.

ب-الكتب المطبوعة:

03-ابن أبي الدينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، ط01، تونس، 1286هـــ.

04-ابنُ أبي الضياف أحمد: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، ط02، تونس، 2004، ج01 وج02.

05-ابن الدين الحاج: **رحلة الأغواطي**، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر للتوزيع، ط خ 01، الجزائر، 2011.

06-العدواني محمد بن محمد بن عمر: **تاريخ العدواني**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، ط خ، الجزائر، 2007.

07-العياشي عبد الله بن محمد: **الرحلة العياشية 1661-1663**، مج 01، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006.

ثانيا: المراجع:

أ-المخطوطات (كتب):

08-التليلي محمد الطاهر: **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة**، مخ، مكتبة عبد الفتاح ونيس المنزلية، قمار.

09-(ـــــــ،ـــــــــــ): **من تاريخ وادي سوف**، مخ، مكتبة عبد الفتاح ونيس المنزلية، قمار.

10-ونيس عبد الفتاح: **المطالعات الرسمية في الوثائق المحكمية لأهل قمار القصية**، مخ، مكتبته المنزلية قمار.

ب-الكتب المطبوعة:

11-بالهادف بن سالم بن الطيب: **سوف تاريخ وثقافة**، مطبعة الوليد، د ط، الجزائر، 2007.

12-بلغيث محمد الأمين: **الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشّابّية**، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع، ط02، الجزائر، 2007.

13-بن علي محمد الصالح: **جماليات العمارة التقليدية في وادي سوف حي الأعشاش انموذجا 1400-2011 دراسة تاريخية وصفية**، مديرية الثقافة بالوادي، ط01، الجزائر، 2014، ج01.

14-بوبكر محمد لخضر: **الجواهر المكنونة في التعريف بمعالم ومتصوفة بونة**، مؤسسة الرجاء للنشر، د ط، قسنطينة، 2018.

15-حسونة عبد العزيز: **عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف من القرن 10 إلى 13 هـ دراسة أثرية عمرانية**، مطبعة مزوار، ط 01، الوادي، 2013.

16-سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، دار الغرب الإسلامي، ط01، بيروت، 1998، ج04.

17-الشابي علي: **العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية**، الدار التونسية للنشر، د ط، تونس، 1979.

18-(ـــــ،ـــــ): **تاريخ الشّابّية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، دار نقوش عربية، ط01، تونس، 2015.

19-(ـــــ،ـــــ): **عرفة الشّابّي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، الدار العربية للكتاب، د ط، تونس، 1982.

20-شترة خير الدين: **قضايا التصوف ومظاهر الصوفية وأبحاث عن نزعة الإصلاح وبعض أعلامه بالجزائر**، دار الصديق للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 2015، ج01.

21-عريق لطيفة: **الطابع السكاني والتغيير الاجتماعي في بلدية كوينين 842-1420هـ/1440-2000م دراسة تاريخية اثنوغرافية**، مديرية الثقافة، ط01، الوادي، 2014.

22-العقبي صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البصائر، ط خ، الجزائر، 2009.

23-العقون التجاني: **أضواء على مدينة قمار بوادي سوف**، مطبعة الوادي، ط01، الجزائر، 2016.

24-العوامر إبراهيم محمد الساسي: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.

25-الفكون عبد الكريم: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط 01، بيروت، 1987.

26-ماني محمد بن عمار: **المنظومة القضائية في البلاد السوفية من خلال الوثائق قمار انموذجا**، مطبعة الرمال، ط01، وادي سوف الجزائر،2016.

27-المطوي محمد العروسي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، د ط، بيروت، 1986.

28-مفتاح عبد الباقي: **أضواء على الطريقة الشابية الشاذلية وتطورها وشيوخها في المغرب والمشرق**، دار نينوى، دمشق، 2016.

29-منصوري أحمد بن الطاهر: **الدر المرصوف في تاريخ سوف**، الحفيد، د ط، الوادي الجزائر، د ت، ج01.

30-مونشيكور شارل: **القيروان والشّابّية (1450-1592)**، تر: محمد العربي السنوسي، دار نقوش عربية، ط01، تونس 2015.

31-النيال محمد البهلي: **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**، دار آفاق برسبكتيف للنشر، ط02، تونس، 2013.

ج-الدوريات والمقالات:

32-بعارسية صباح: "**دور المتصوفة في الجزائر خلال 10هـ/16م**"، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، د ت.

33-التليلي محمد الطاهر: "**فذلكة تاريخية عن منطقة سوف بالجزائر**"، تق: أبو القاسم سعد الله، مجلة العرب، ج 11 و12، الرياض، أوت/جويلية 2002.

34-الشّابّي علي: "**مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشّابّية**"، المجلة التاريخية المغربية، ع 13 و14، تونس، 1979.

35-مياسي إبراهيم: "**من تاريخ وادي سوف (مدينة الألف قبة)**"، الثقافة، ع 113، وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، 1996.

د-الملتقيات:

36-بن حيدة يوسف: **التواصل الطرقي بين الجنوب الشرقي الجزائري ومنطقة الجريد خلال القرن 19م**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري والتونسي 1881-1954م، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، 10-2013/11/11.

37-شترة خير الدين: **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي (الجزائر وتونس انموذجا)**، الملتقى الدولي حول التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة،11، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 09-10-2008/11/11.

38-غنابزية علي: "**مآثر الطريقة الشابية بوادي سوف منذ القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي**"، الملتقى الوطني حول الممارسات الصوفية بين الذوق العرفاني والإبداع الشعبي، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي،الجزائر، 10-2014/03/11.

هـ-الندوات:

39-بوسعد الطيب: "**أوضاع منطقة وادي سوف خلال عصر الشيخ محمد العدواني من خلال كتابه (سياسيا، اجتماعيا، ثقافيا ودينيا)**"، الندوة الفكرية للشيخ العدواني، 12، الجمعية الثقافية الولائية للشهيد عمر عزوز بالزقم، الوادي الجزائر، 30-10/31 و2010/11/01.

40-غنابزية علي: "**الحركة العلمية بوادي سوف منذ القرن السادس الهجري وآثارها الفكرية المدونة**"، ضمن كتاب وادي سوف (دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة)، الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد يجور بقمار، مزوار للطباعة والنشر، ط01، الوادي الجزائر، 2008.

و-محاضرات:

41-محمد بن عمار ماني: "**محطات تاريخية حول مسجد بيت الشريعة بقمار**"، كلمة ألقاها بمسجد بيت الشريعة بقمار بمناسبة عقد زواج الأخوين شعيب والطاهر خدة يوم 2016/02/23.

ز-الرسائل الجامعية:

42-بن موسى موسى: **التغلغل الاستعماري بوادي سوف بين المقاومة والتأقلم 1854-1947**، أطروحة دكتوراة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إشراف: أحمد صاري، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2015.

43-(ـــــــ،ـــــ): **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها 1900-1939**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: أحمد صاري، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006.

44-بيشي رحيمة: **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية (898-982هـ/1494-1574م)**، رسالة ماجستير، إشراف: شكيب بن حفري، المشرف المساعد: إبراهيم سعيود، قسم التاريخ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2011-2012.

45-حسونة عبد العزيز: **النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة وادي سوف من القرن العاشر إلى الثالث عشر الهجري القرن السادس عشر إلى التاسع عشر الميلادي دراسة أثرية ومعمارية**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: علي حملاوي وشريفة طيان، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2009-2010.

46-جابر ريان: **الزراعة في إقليم وادي سوف (الآليات، الواقع، الآفاق)**، رسالة ماجستير في التهيئة العمرانية، إشراف: عبد المجيد بازين، قسم التهيئة العمرانية، كلية علوم الأرض والتهيئة العمرانية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة،2015.

47-زقب عثمان: **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: يوسف مناصرية، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005-2006.

48-غنابزية علي: **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300-1374/1882-1954**، رسالة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمر بن خروف، قسم التاريخ، كليه العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة الجزائر،2008-2009.

ح-اللقاءات الشفوية:

49-لقاء مع أحمدي بشير: باحث في التاريخ المحلي، بمنزل صهره، قمار، 17:30، 2018/04/22. (من مواليد 1929م).

50-لقاء مع شيبوبي محمد العيد بن البشير: قرب منزله، قمار، 18:30، 2018/05/03. (من مواليد 1936).

51-لقاء مع كرثيو حميدة بن البشير: مزرعته ودار أولاد سيدي عمار، غمره، 09:40، 2018/05/08.

52-لقاء مع كردي ميلود بن محمد بن محمد: منزله، قمار، 11:00، 2018/05/08. (من مواليد 1933).

53-لقاء مع الأستاذ ماني محمد بن عمار (باحث في التاريخ المحلي)، بمنزله بقمار، 19:50، 2018/04/21.

54-لقاء مع ونيس عبد الفتاح: باحث في التاريخ المحلي، منزله، قمار، 19:00، 2018/05/07.

ط-المراجع الأجنبية:

55-DEPONT Octave et COPPOLANI Xavier: **Les Confreries Religieuses Musulmanes**, TYPOGRAPHIE ET LITHOGRAPHIE ADOLPHE JOURDAN, ALGER, 1897.

56-VOISIN André-Roger: **Le Souf Monographie**, R: Ali ABID, El-Walid, El-Oued, 2004.

ي-المواقع الإلكترونية:

57-منتديات النهار الجديد: مدينة قمار مدينة العلم والعلماء، http://forum.ennaharonline.com/، 11:00، 2018/05/11.

58- موقع Google Earth.

59-الموسوعة التونسية www.mawsouaa.tn/wiki ، 10:00، 2018/04/12.

60-موقع تورس www.turess.com/attounissia، 08:40، 2018/04/05.

فهـــــــرس

الموضوعات

العنوان	رقم الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	07
مدخل: الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة وادي سوف	15
1-وادي سوف جغرافيا	15
أ-الموقع الجغرافي والفلكي	15
ب-وادي سوف جيولوجيا	16
ج-المناخ	16
د-الزراعة	17
2-وادي سوف تاريخيا	17
الفصل الأول: الطريقة الشابية نشأتها وتطورها وامتدادها إلى وادي سوف	22
1-الطريقة الشّابّية نشأتها وتطورها	22
2-تطور الطريقة الشّابّية من السلطة الروحية إلى الدولة الدينية	26
3-أبرز شيوخ الشّابّية	34
*عرفة بن أحمد بن مخلوف الشابي	35
*محمد المسعود الشابي	37
*علي بن محمد المسعود الشابي	40
*أحمد الصغير بن علي بن محمد المسعود الشابي	42
4-انتشار الطريقة الشّابّية من القيروان إلى وادي سوف	44
الفصل الثاني: المآثر الدينية والاجتماعية للطريقة الشّابّية بوادي سوف	49
1-الطريقة الشّابّية ما بين الدعوة وتجديدها للدين	49
2-الحياة الاجتماعية لأتباع الطريقة الشابية	60
3-المؤسسات الدينية للطريقة الشابية	66
*مسجد محمد المسعود الشابي بالوادي	67

*مسجد محمد المسعود الشابي بقمار	68
*مسجد بيت الشريعة بقمار	69
*الزاوية الشابية بقمار	70
*حوش سي عبد الغني وجامع العمامرة	72
*مزارة سيدي الطيب أو سي الطيب بقمار	72
*دار أولاد سيدي عمار بغمره	73
4-الاستقرار الشابي	74
الخاتمة	78
الملاحق	82
قائمة المصادر والمراجع	99
فهرس الموضوعات	108
ملخص الدراسة	110

ملخص الدراسة:

في النصف الثاني من القرن 15م، شهدت إفريقية ميلاد الطريقة الشابية، والتي وصلت إلى سوف بفضل التواصل الاجتماعي بين قبيلة طرود والشيخ عرفة الشابي، ومع بداية القرن 17م، وصل الشيخ محمد المسعود الشابي مع ابنه علي منطقة سوف، ناشرا دعوته ومحاربا للفساد العقائدي والانحلال الأخلاقي. واصل ابنه وأحفاده دعوته من بعده، كما ساهمت الطريقة في دعم الأعمال الإنسانية من خلال مؤسساتها الدينية والاجتماعية التي مازالت آثارها شاهدة إلى اليوم.

Résumé:

Dans la 2e moitié du XVe siècle, Ifriquia avait attesté la naissance de Chabbia dont l'écho est arrivé à Souf grâce à la communication sociale entre la tribu Teroud et Cheikh Arafa Chabbi.

Au début du XVIIe siècle, Cheikh Mouhammed El-Messaoud Chabbi est arrivé, avec son fils Ali, à Souf dans le but de propager son message (Daâoua) et pour lutter contre la corruption religieuse et celle de l'éthique. Son fils et ses petits-fils, ont continué sa mission après le décès du père.

Chabbia a également soutenu les activités humaines à travers ses établissements religieux et sociaux dont l'héritage existe encore jusqu'aujourd'hui.